سورة طه

١١٧- قال السيوطيّ: وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن الزبير قال: نزَلتْ سورةُ طه بمكّة (١).

(١) الدر المنثور (١٥٢/١٠)، وانظر: فتح القدير (٣٥٤/٣)، روح المعاني (١٤٧/١٦).

دراسة الأثر:

لا خِلافَ بين المفسّرين في مكيّة سورة طه، لكن هل هي مكيّة كلّها أم فيها آيات مدنيّة اختَلفُوا فيه على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِيَ عن ابن الزبير وابن عباس – رضي الله عنهما –، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مكيّة إلاّ قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ الآية (طه: ١٣٠)، فهو مدنيّ، رُوِيَ عن الكلبي.

لم أقِفْ – بعد البحث – على سبب استثناء هذه الآية، ومضمون الآية وسياقُها يُؤيِّدان مكيَّتَها؛ ففيها تسليةٌ للرّسول ﷺ على تكذيب الكفّار، وما يقولون له من ساحرٍ، أو مجنونٍ، أو شاعرٍ، أو نحو ذلك.

قال الطبريّ في تفسير الآية: "يقول جلّ ثناؤه لنبيّه: فاصبِرْ يا محمّدُ على ما يقول هؤلاء المكذِّبون بآيات الله من قومك لك: إنّك ساحر، وإنّك مجنون، وشاعر، ونحو ذلك من القول". اهـ.

تفسير الطبري (٤٠٠/١٨)

قال القرطبيّ: "أمَرَه تعالى بالصّبر على أقوالهم: إنّه ساحر، إنّه كاهن، إنّه كذّاب، إلى غير ذلك". اهـ.

تفسير القرطبي (٢٦٠/١١)

القول الثالث: أنّها مكيّة إلاّ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ ﴾ الآية (طه: ١٣١)، فهو مدنيّ، استظْهَرَه السيوطيّ في الإتقان.

والسبب في استثنائه ما رُوِي من حديث أبي رافع ﷺ قال: أضافَ النبيّ ﷺ ضيْفاً، فأرْسَلَني إلى رجلٍ من اليهود أن أسْلِفْني دقيقاً إلى هلال رجَب، فقال: لا إلاّ بِرَهْنٍ، فأتيتُ النبيّ ﷺ، فأخبرتُه، فقال: "أما واللهِ، إنّي لأمينٌ في السماء، أمينٌ في الأرض"، فلم أخرُجْ من عنده حتّى نزَلَتْ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ ﴾ الآية تعزِيةً للرسول ﷺ.

أخرَجَه ابن أبي شيبة في المسند كما في إتحاف الخِيَرة (٢٤٥/٦) رقم (٥٧٦٤)، إسحاق بن راهويه في المسند كما في إتحاف الخِيَرة (٣٤٦/٣) رقم (٢٨٨٢)، البزّار في المسند (٣١٥/٩) رقم (٣٨٦٣)، الروياني في المسند (٤٦٢/١) رقم (٦٩٥)، أبو يعلى في المسند كما في إتحاف الخِيَرة (٣٤٦/٣) رقم (٢٨٨٢)، الطبريّ في تفسيره (٤٠٣/١٨)، الطبرانيّ في المعجم الكبير (٣٣١/١) رقم (٩٨٩)، أبو نُعَيم في معرفة الصحابة (٢٥٢/١) رقم (٨٦٢)، الواحديّ في أسباب النزول ص (٢٠٥)، كلُّهم من طريق موسى بن عُبَيدَة الرَّبَذِيّ، وذكرَه الهيثميّ في مجمع الزوائد (١٢٦/٤)، وعزاه للطبراني في المعجم الكبير والبزّار، وقال: "وفيه موسى بن عُبَيدَة الرَّبَذِيّ، وهو ضعيف". اهـ.

والصّواب – والله أعلم –: أنّ القول بنزول الآية في تلك القصّة ليس بصحيحٍ، فقد أخرَجَ القصة الشيخانِ من حديث عائشة – رضي الله عنها –، وليس عندهما ذكرٌ للآية.

انظر: صحيح البخاري/ كتاب: البيوع/ باب: شراء النبيّ ﷺ بالنسيئة/ رقم (١٩٦٢)، صحيح مسلم/ كتاب: المساقاة/ باب: الرهن وجوازه في الحضر والسفر/ رقم (١٦٠٣).

كما أنّ سياق الآية لا يُؤيِّد هذا السبَبَ، ويظهَرُ منه أنّ هذه الآية مرتبطة بما قبلها.

قال ابنُ عطيّة بعد أن ذكَرَ هذا السبب: "وهذا معترَضٌ أن يكون سبباً؛ لأنّ السورة مكيّة، والقصّة المذكورة مدنيّة في آخر عمر النبيّ ﷺ؛ لأنّه ماتَ ودرعُه مرهونةٌ بهذه القصّة التي ذُكِرتْ، وإنّما الظاهر أنّ الآية مُتناسِقَة مع ما قبلَها؛ وذلك أنّ الله تعالى وبَّخَهم على ترْك الاعتبار بالأُمَم السالِفة، ثمّ توعَّدَهم بالعذاب المؤجَّل، ثم أمَرَ نبيَّه بالاحتقار لشأْنِهم، والصبْر على أقوالهم، والإعراض عن أموالهم، وما في أيديهم من الدنيا؛ إذْ ذاك منحصر عندهم صائرٌ بهم إلى خزْيٍ". اهـ.

المحرر الوجيز (٤/٧٠)

ولعلّ النبيّ ﷺ قرَأَ الآيةَ في تلك القصّة من باب الاستشهاد، فظنَّ الراوي أنّها نزَلَتْ فيها.

قال ابنُ عاشور: "وعندي أنّه إن صحَّ حديثُ أبي رافع فهو من اشتباه التّلاوة بالنزول، فلعلّ النبيّ قرَأَها مُتَذَكِّراً، فظنَّها أبو رافع نازلةً ساعتَئِذٍ، ولم يكنْ سمِعَها قبلُ، أو أطلَقَ النزولَ على التِّلاوة" اهـ.

التحرير والتنوير (١٦/١٨٠)

والرّاجح – والله أعلم –: أنَّها مكيّة كلّها، كما رُوِيَ عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قولُ جمهور المفسّرين، ولأنّ القول باستثناء شيءٍ منها – كما سبقَ – ضعيف.

قال ابنُ أبي زمنين: "وهي مكيّة كلّها". اهـ.

تفسير ابن أبي زمنين (٣/١١٠)

انظر: الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٥٥٥)، تفسير ابن أبي زمنين (٣/١١٠)، زاد المسير (٥/٢٦٨)، تفسير القرطبي (١١/١٦٣)، تفسير البحر المحيط (٦/٢١١)، الدر المنثور (١٠/١٥٢)، الإتقان في علوم القرآن (١/٥٠)، الناسخ والمنسوخ للكرمي ص (١٣٩)، فتح القدير (٣/٣٥٤)، روح المعاني (١٦/١٤٧)، التحرير والتنوير (١٦/١٨٠).

قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ طه/٩٦.

١١٨- قال ابن عطيّة: وقرَأَ ابنُ مسعود وابنُ الزبير ... (فَقَبَصْتُ قَبْصَةً) بالصَّاد (٢).

---

(٢) المحرر الوجيز (٦١/٤)، وانظر: المحتسب لابن جنّي (٥٤/٢)، شواذّ القراءات للكرماني ص (٣١١)، تفسير البحر المحيط (٢٥٤/٦)، تاج العروس (قبص) (٨١/١٨)، روح المعاني (٢٥٣/١٦).

دراسة الأثر:

قُرِئَ قولُه تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ بعدَّة أوجُهٍ، وهي:

١- (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً) بالضّاد المعجَمة في الموضعَينِ، وهو قراءةُ الجمهور.

٢- (فَقَبَصْتُ قَبْصَةً) بالصّاد المهمَلة فيهما، وهو قراءةُ ابن الزبير وابن مسعود وأُبَيّ بن كعْب ﷺ، وأبي العالية والحسن وقتادة وابن سيرين ونَصْر بن عاصِم وأبي رَجَاء.

والفرق بينهما أنّ (القَبْضَة) بالضّاد المعجمَة: هو الأخذ بمِلْء الكفّ، وبالصّاد المهمَلة: هو الأخْذ بأطراف الأصابع، مثل: الخَضْم والقَضْم، فالخضْم: هو الأكل بالفم كُلِّه، والقَضْم: هو الأكل بأطراف الأسنان.

قال الفرّاء: "القَبْضَة بالكفّ كلِّها، والقَبْصَة بأطراف الأصَابِع". اهـ.

معاني القرآن (١٩٠/٢)

قال الطبريّ: "والقَبْضَة عند العرب: الأخذ بالكفّ كلِّها، والقَبْصَة: الأخْذُ بأطراف الأصابع". اهـ.

تفسير الطبري (٣٦٣/١٨)

٣- (فَقَبَضْتُ قُبْضَةً) بضمّ القاف، وبالضّاد المعجَمَة، رُوِيَ عن الحسن، وهو اسمٌ للمقبوض، كالغُرْفَة والمِضْغَة في معنى المغْرُوف والمِمْضُوغ.

قال الفيروزآبادي: "والقَبْض: التناوُل باليَد، والسَّوق الشديد، والمتَناوَل: قَبْضَة وقُبْضَة". اهـ.

بصائر ذوي التمييز (٢٢٨/٤)

٤- (فَقَبَصْتُ قُبْصَةً) بضَمِّ القاف، والصَّاد المهمَلة، رُوِي عن الحسَن وقتادة ونصْر بن عاصِم، وهو اسمٌ للمَقْبُوص.

قال الفَيروزآباديّ: "القَبْص والتقبيص: التّناوُل بأَطْراف الأَصابِع، وذلك المتَناوَل قَبْصَةٌ وقُبْصَة وقَبْيصَة". اهـ.

بصائر ذوي التمييز (٢٢٨/٤)

٥- (فَقَبَضتُّ قَبْضَةً) بإدغام الضّاد في تاء المتكلِّم مع إبقاءِ صفة الإطباق، وتشديد التّاء، وهو قراءةُ ابن مُحَيصِن.

والاختيار: الوجه الأول؛ فهو قِراءة سبعيّة متواترة، وما عداها شاذٌّ، لم يُقرَأْ به في العَشْر.

انظر: معاني القرآن للفراء (١٩٠/٢)، غريب الحديث لابن سلاّم (قبص) (١٣٦/١)، غريب الحديث لابن قتيبة (قبص) (٤١٢/١)، تفسير الطبري (٣٦٢/١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٣٣/٧) رقم (١٣٥٠٩، ١٣٥١٠)، إعراب القرآن للنحّاس (٥٦/٣)، القراءات الشاذّة ص (٨٩)، تهذيب اللغة (قبص) (٢٩٦/٨)، تفسير السمرقندي

(٤١٠/٢)، المحتسب لابن جنّي (٥٤/٢)، مقاييس اللغة (قبص) (٤٩/٥)، الكشف والبيان (٢٥٨/٦)، تفسير الماوردي (٤٢٢/٣)، تفسير السمعاني (٣٥٢/٣)، الكشّاف (٨٥/٣)، المحرر الوجيز (٦١/٤)، شواذّ القراءات للكرماني ص (٣١١)، زاد المسير (٣١٨/٥)، تفسير الرازي (٩٦/٢٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (قبص) (٥/٤)، تفسير القرطبي (٢٤٠/١١)، تفسير النسفي (٦٤/٣)، تفسير البحر المحيط (٢٥٤/٦)، الدر المصون (٩٤/٨)، لسان العرب (قبص) (٦٨/٧)، القاموس المحيط (قبص) (٨٠٨)، اللّباب لابن عادل (٣٦٨/١٣)، الدر المنثور (٢٣٦/١٠)، تفسير أبي السعود (٣٩/٦)، إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٨)، تاج العروس (قبص) (٨٠/١٨)، روح المعاني (٢٥٣/١٦).

○○○○○

سورة الأنبياء

١١٩- قال السيوطيّ: وأخرَجَ البخاريّ وابنُ مردَويه عن ابن الزبير قال: نزَلَتْ سورةُ الأنبياء بمكّة (١).

(١) الدر المنثور (٢٦٩/١٠)، ولم أقِفْ عليه عند البخاري، وانظر: روح المعاني (٢/١٧).

دراسة الأثر:

لا خِلافَ بين المفسّرين في مكيّة سورة الأنبياء، لكن هل هي مكيّة كلّها أم فيها آياتٌ مدنيّة اختلفُوا فيه على قولَين، وهما:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس وابن مسعود ﷺ، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مكيّة إلاّ آية، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الآية (الأنبياء: ٤٤)، ذكَرَه السيوطيّ في الإتقان، ولم يعزُه لقائلٍ.

ولعلّ السبَبَ في استثنائه ما رُوِي عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الآية (الرعد: ٤١)، قال: أولم يرَوا أنّا نفْتَحُ لمحمّد ﷺ الأرضَ بعد الأرضِ.

أخرَجَه الطبريّ في تفسيره (٤٩٣/١٦) رقم (٢٠٥١٤)، وإسناده صحيح، وذكَرَه البغويّ في تفسيره (٣٢٦/٤)، ابن كثير في تفسيره (٤٧٢/٤).

على أنّ المراد بالرؤية الرؤية البصريّة، وما كان ذلك إلاّ بعد الهِجْرَة.

وردَّه ابن عاشور، فقال: "وكلُّ ذلك ليسَ بالمتَعيّن، ولا بالرّاجِح". اهـ.

التحرير والتنوير (٦/١٧)

وقال مُبيِّناً القولَ الرّاجحَ في الآية: "والرؤية عِلميَّة ...، والمرادُ بـ (نُقْصان الأرض): نقصانُ مَن عليها من الناس لا نقصانُ مساحَتِها؛ لأنّ هذه السورة مكيّة، فلمْ يكُنْ ساعتَئِذٍ شيءٌ من أرضِ المشركين في حَوْزَة المسلمين، والقرينة: المشاهدة، والمراد نقصانُ عدد المشركين بدخول كثيرٍ منهم في الإسلام ممّن أسلَمَ من أهل مكّة، ومن هاجَرَ منهم إلى الحَبَشة، ومَن أسلَمَ من أهل المدينة إن كانتِ الآيةُ نزلتْ بعد إسلام أهل العَقَبة الأولى أو الثانية، فكان عدد المسلمين يومَئِذٍ يتَجاوَزُ المائتَين". اهـ.

التحرير والتنوير (٧٦/١٧)

ويُحتَمل أن يكونَ المرادُ بنَقْص الأرض إهلاكُ الأُمَم المكذِّبَة السابِقة.

قال ابنُ كثير: "اختلفَ المفسّرون في معناه ...، وأحسنُ ما فُسِّرَ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأحقاف: ٢٧)، وقال الحسن البصري: يعني بذلك ظهورَ الإسلام على الكفر، والمعنى: أفلا يعتَبِرُون بنصْر الله لأوليائه على أعدائِه، وإهلاكِه الأممَ المكذِّبة، والقُرى الظالِمة، وإنجائِه لعباده

المؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾، يعني: بل هم المغلوبُون الأسْفَلون الأخْسَرون الأرْذَلون". اهـ.
تفسير ابن كثير (٥/٣٤٥)

قال الشنقيطيّ بعدَ أن ذكَرَ قولَ ابن كثير: "ما ذكَرَه ابنُ كثيرٍ – رحمَه الله – صوابٌ، واستقراءُ القرآن العظيم يدلُّ عليه، وعليه فالمعنى: أفلاَ يرَى كفّار مكّة ومن سارَ سيرَهم في تكذيبك يا نبيّ الله، والكُفْرِ بما جئتَ به ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾، أي: بإهلاكِ الذين كَذَّبُوا الرُّسُل". اهـ.
أضواء البيان (٤/١٥٧)

وهذا كلُّه يُضعِّف استثناءَ هذه الآية، والقولَ بمدنيّتها، كما أنّ ارتباطَها بما قبلها من الآيات يُقوّي القولَ بمكيّتها.

قال ابنُ عاشور: "﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ تفْريعٌ على إحالتِهم نصرَ المسلمين، وعدِّهم تأخيرَ الوعْد به دليلاً على تكذيب وقوعه حتّى قالوا: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (الأنبياء: ٣٨) تهكُّماً وتكذيباً، فلما أنْذَرَهم بما سيَحِلُّ بهم في قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ إلى قولـه تعـالى: ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٩– ٤١) فرَّعَ على ذلك كلِّه استفهاماً تعجيبيّاً من عدْم اهتدائهم إلى أمارات اقتران الوعد بالموعود استدلالاً على قُربه بحصول أَمَاراتِه". اهـ.
التحرير والتنوير (١٧/٧٦)

والرّاجح – والله أعلم –: أنّها مكيّة كلّها، كما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قولُ جمهور المفسّرين، ولأنّ القولَ باستثناء شيءٍ منها – كما سبقَ – ضعيف.

قال ابنُ أبي زمنين: "وهي مكيّة كلّها". اهـ.
تفسير ابن أبي زمنين (٣/١٣٩)

انظر: الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٥٥٥)، تفسير ابن أبي زمنين (٣/١٣٩)، المحرر الوجيز (٤/٧٣)، زاد المسير (٥/٣٣٨)، تفسير القرطبي (١١/٢٦٦)، تفسير البحر المحيط (٦/٢٧٤)، تفسير الثعالبي (٣/٤٧)، الدر المنثور (١٠/٢٦٩)، الإتقان في علوم القرآن (١/٥٠)، الناسخ المنسوخ للكرمي ص (١٤١)، فتح القدير (٣/٣٩٦)، روح المعاني (١٧/٢)، التحرير والتنوير (١٧/٥).

قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ الأنبياء/٩٥.

١٢٠- قال عبد الرزاق: أنبَأنا ابنُ عُيَينَة عن عَمْرو بن دينار سمِعْتُ ابنَ الزبير يقول: إنَّ صِبياناً هاهنا يقرَؤُون (دَارَسْتَ)، وإنَّما هِي (دَرَسَتْ)، ويقرَؤُون (وحِرْمٌ على قَرْيَةٍ أهلَكْناها)، وإنَّما هِي (وحَرامٌ عَلَى قَرِيَة) (١).

دراسة الإسناد:

تقدَّمَ هذا الإسناد في الأثر (٧٧).

درجة الإسناد:

إسناده صحيحٌ.

(١) تفسير عبد الرزاق (٢١٦/١)، وأخرَجَه سعيد بن منصور في السنن (٦٩/٥) رقم (٩٠١) عن سفيان بن عيينة به بنحوه، وذكرَه السيوطيّ في الدر المنثور (١٦٥/٦)، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد الرّزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

دراسة الأثر:

قُرِئَ قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ ﴾ بعدَّة أوجُهٍ، وهي:

١- (حَرَامٌ) بفَتْح الحاء، وبالألف، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس وزيد بن ثابت ﷺ، والحسن، وقرأَ به ابن عامر وابن كثير، وحفْص عن عاصِم، وأبو جعفر وأبو عمرو ونافع ويعقوب وخلَف، وهو قراءةُ الجمهور.

٢- (حِرْمٌ) بكَسْر الحاء، وسكون الرّاء، وبغَير ألف، رُوِي عن عليّ وابن مسعود وابن عباس ﷺ، وعكرمة وسعيد بن جُبَير والنخعي، وهو قراءةُ حمزة وشُعبة والكسائي، وأبي بكر عن عاصم، وطلحة والأعمش، وأبي عمرو في روايةٍ.

وهما لُغَتانِ بمعنىً، كالحِلِّ والحَلاَل.

قال الطبريّ بعد أن أورَدَ القِراءتَينِ: "والصَّواب من القول في ذلك أنّهما قراءتانِ مشهورتانِ متّفِقتَا المعنى غيرُ مُختَلِفَتَيْه؛ وذلك أنّ الحِرْم هو الحَرام، والحَرام هو الحِرْم، كما الحلّ هو الحَلاَل، والحَلاَل هو الحِلّ، فبِأَيَّتِهما قرَأ القارئُ فمُصيبٌ". اهـ.

تفسير الطبري (٥٢٥/١٨)

وقيل: (حِرْمٌ) بمعنى: عَزْم، و(حَرَامٌ) بمعنى: واجِب، قال الشاعر:

وإنّ حَراماً لا أرَى الدَّهرَ بَاكِياً ... علَى شَجْوِهِ إلاَّ بكَيتُ علَى صَخْرِ

اختُلِف في قائله، فنُسِب لِخَنْساء، انظر: الكشف والبيان (٣٠٧/٦)، تفسير القرطبي (٣٤٠/١١)، تفسير البحر المحيط (٣١٤/٦)، الدر المصون (١٩٩/٨)، ونُسِب لعبد الرحمن بن جُمانَةَ المحارِبِي، انظر: لسان العرب (حرم) (١٢٧/١٢)، تاج العروس (حرم) (٤٦٣/٣١).

حَراماً، أي: واجِباً.

٣- (حَرْمٌ) بفتْح الحاء، وسكون الراء، وهو قراءةُ ابن عباس ﷺ، وقتادة ومطَر الورَّاق، ومحبوب عن أبي عمرو.

٤- (حَرِمٌ)، صفةٌ على فَعِل، نحو: حَذِر، وهو قراءةُ عكرمة.

٥- (حَرِمَ) بكسْر الراء، وفتح الحاء والميم، على المِضيّ، وهى قراءة ابن عباس ﷺ، وعكرمة والضحّاك وأبي الجَوزاء وابن المسيّب وقتادة وسعيد بن جُبير.

٦- (حَرُمَ) بضمّ الراء، وفتح الحاء والميم، على المِضِيّ، وهو قراءة ابن عباس ﷺ، وعكرمة وأبي العالية وسعيد ابن المسيّب وأبي رجاء وأبي مِجْلَز وزيد بن عليّ.

٧- (حَرَمَ) بفتح الحاء والراء والميم، على المِضِيّ، وهو قراءةُ ابن عباس ﷺ، وقتادة ومطَر الورَّاق.

٨- (حُرِّمَ) بضمّ الحاء، وكَسْر الراء مشدَّدة، وفتح الميم، على المِضِيّ، وهو قراءةُ ابن عباس ﷺ، واليماني.

٩- (حَرَّمَ) بفتح الحاء، والراء مشدَّدة، والميم، على المِضِيّ، وهو قراءةُ ابن عباس ﷺ.

والاختيار: الوجه الأول والثاني؛ فهما قراءتان سبعيّتان متواترتان، وما عداهما شاذٌّ، لم يُقرأْ به في العشر.

قال ابنُ عطيّة: "والمستفيض من هذه القراءات قِراءةُ من قرَأ (وحِرْمٌ)، وقِراءةُ من قرَأ (وحَرَامٌ)". اهـ.

المحرر الوجيز (٩٩/٤)

غيرَ أنّ قراءة (حَرَام) بإثبات الألف - كمَا رُوِي عن ابن الزبير ﷺ - هو الأشْهَر.

قال الفرّاء: "(وحَرَامٌ) أفْشَى فى القِرَاءة". اهـ.

معاني القرآن (٢١١/٢)

انظر: معاني القرآن للفرّاء (٢١١/٢)، تفسير الطبري (٥٢٥/١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٦٧/٦)، إعراب القرآن للنحّاس (٧٩/٣)، القراءات الشاذّة ص (٩٣)، الحُجَّة في القراءات السبع ص (٢٥١)، تهذيب اللّغة (حرم) (٣٢/٥)، تفسير السمرقندي (٤٤١/٢)، المحتسب لابن جنّي (٦٤/٢)، حُجّة القراءات ص (٤٧٠)، الكشف والبيان (٣٠٦/٦)، تفسير البغوي (٣٥٤/٥)، المحرر الوجيز (٩٩/٤)، شواذّ القراءات للكرماني ص (٣٢١)، زاد المسير (٣٨٦/٥)، التبيان في إعراب القرآن (٩٢٦/٢)، تفسير القرطبي (٣٤٠/١١)، تفسير البيضاوي (١٠٧/٤)، تفسير البحر المحيط (٣١٣/٦)، الدر المصون (١٩٨/٨)، لسان العرب (حرم) (١٢٦/١٢)، النشر في القراءات العشر (٣٢٤/٢)، تفسير الثعالبي (٦٥/٣)، الدر المنثور (٣٧٠/١٠)، إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٤)، تاج العروس (حرم) (٤٦٣/٣١)، فتح القدير (٤٢٦/٣)، روح المعاني (٩٠/١٧)، التحرير والتنوير (١٤٦/١٧).

قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ الأنبياء/٩٨.

١٢١- قال ابن عطيّة: وقرَأَ عليّ بن أبي طالب ... وابنُ الزبير (حَطَبُ جَهَنَّم) بالطَّاء [١].

(١) المحرر الوجيز (١٠١/٤)، وانظر: القراءات الشاذّة ص (٩٣)، المحتسب لابن جنّي (٦٦/٢)، شواذّ القراءات للكرماني ص (٣٢٢)، تفسير البحر المحيط (٣١٦/٦)، الدر المصون (٢٠٧/٨)، اللّباب لابن عادل (٦٠٤/١٣)، روح المعاني (٩٦/١٧).

١٢٢- قال الكِرمانيّ: وعن ابن الزبير (حِصْب) بكسْر الحاء، وسكون الصّاد [١].

(١) شواذّ القراءات ص (٣٢٢).

دراسة الأثرين (١٢١- ١٢٢):

قُرِئَ قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ بعِدَّة أوجُهٍ، وهي:

١- (حَصَب) بفتْح الحاء والصاد المهمَلتَينِ، وهو قراءةُ الجمهور، وهو اسم بمعنى المحصُوب به، وأصلُ الحَصْب: الرَّمْي، يُقال: حصَبْتُ فلاناً: إذا رَمَيْتَه حَصْباً، وقيل: هي لغةٌ في الحَطَب.

قال ابنُ عطيّة: "والحَصَب ما تُوقَد به النّارُ؛ إمّا لأنّها تُحْصَبُ به، أي: تُرمَى، وإمّا أن تكون لغةً في الحَطَب إذا رُمِيَ، وأمّا قبل أن يُرمَى به فلا يُسَمَّى حَصَباً إلا بتَجَوُّز". اهـ.

المحرّر الوجيز (١٠١/٤)

٢- (حَطَب) بالطّاء المفتوحة، وهو قراءةُ ابن الزبير وعليّ وأُبيّ بن كعب وعائشة ﷺ، وأبي العالية وعمر بن عبد العزيز وزيد بن علي.

٣- (حَضَب) بالضّاد المعجمة المفتوحة، وهو ما يُوقَد به النّار، رُوِيَ عن ابن عباس ﷺ، واليماني.

قال الفرّاء: "وكلُّ ما هيَّجْتَ به النّارَ، أَوْ أوقَدْتَها به فهو حَضَبٌ". اهـ.

معاني القرآن (٢١٢/٢)

وقيل: الحَضَبُ - بفتح الضّاد - لغةٌ في الحَطَب.

قال ابن جنّي: "أمّا (الحَضَبُ) بالضّاد مفتوحةً، وكذلك بالصّاد غيرَ معجمةٍ فكلاهما الحَطَب، ففيه ثلاثُ لُغاتٍ: حَطَبٌ، وحَضَبٌ، وحَصَبٌ". اهـ.

المحتسب (٦٦/٢)

٤- (حَصْب) بإسْكان الصّاد، رُوِيَ عن ابن عباس ﷺ، وابن السَّمَيْفَع وابن أبي عَبْلَة وأبي مِجْلَز وأبي رَجَاء وابن مُحَيصِن ومحبوب، وأبي حاتم عن ابن كثير، وهو مصدرٌ بمعنى المفعول، أي: المحصُوب، أو على المبالَغَة.

٥- (حَضْب) بالضّاد المعجَمَة الساكِنَة، رُوِي عن ابن عباس ﷺ، واليماني وكُثَيِّر عَزَّة، وهو مصدرٌ بمعنى المحْضُوب، أي: ما يُرْمَى به في النّار.

قال ابنُ جنّي: "فقِراءَةُ من قرَأَ (حَضْبُ جَهَنَّمَ) و(حَصْبُ جَهَنمَ) بإسكان الثاني منهما، إنّما هو على إيقاع المصدر موقِعَ اسم المفعول، كالخَلْق في معنى المخلوق، والصَّيْد في معنى المِصِيْد". اهـ.

المحتسب (٦٦/٢)

٦- (حِصْب) بكَسْر الحاء، وسُكون الصَّاد، رُوِي عن ابن الزبير ﷺ.

والاختيار: الوجه الأول؛ فهو قراءة سبعيّة متواتِرة، وما عداها شاذٌّ، لم يُقرَأْ به في العشر، وفي بعضه مخالفةُ رسمِ المصحف.

قال الطبريّ: "واختُلِفَ في قراءة ذلك، فقرَأَتْه قُرَّاءُ الأمصار (حَصَبُ جَهَنَّمَ) بالصّاد، وكذلك القِراءَة عندنا؛ لإجماع الحُجَّة عليه". اهـ.

تفسير الطبري (٥٣٦/١٨)

انظر: معاني القرآن للفرّاء (٢١٢/٢)، غريب الحديث للحربي (حضب) (٤٦٧/٢)، تفسير الطبري (٥٣٦/١٨)، القراءات الشاذّة ص (٩٣)، تفسير السمرقندي (٤٤١/٢)، المحتسب لابن جنّي (٦٥/٢)، الكشف والبيان (٣٠٩/٦)، تفسير الماوردي (٤٧٢/٣)، تفسير السمعاني (٤١٠/٣)، تفسير البغوي (٣٥٦/٥)، الكشّاف (١٣٧/٣)، المحرّر الوجيز (١٠١/٤)، شواذّ القراءات للكرماني ص (٣٢٢)، زاد المسير (٣٩٠/٥)، التبيان في إعراب القرآن (٩٢٨/٢)، تفسير القرطبي (٣٤٣/١١)، تفسير البيضاوي (١٠٩/٤)، تفسير البحر المحيط (٣١٥/٦)، الدر المصون (٢٠٦/٨)، لسان العرب (حصب) (٣٢٠/١)، اللّباب لابن عادل (٦٠٣/١٣)، الدر المنثور (٣٨٧/١٠)، إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٤)، تاج العروس (حصب) (٢٨٢/٢)، فتح القدير (٤٢٨/٣)، روح المعاني (٩٦/١٧).

○○○○○

سورة الحجّ

١٢٣- قال السيوطيّ: وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن عبد الله بن الزبير قال: نزَلَتْ بالمدِينَةِ سورةُ الحَجّ (١).

(١) الدر المنثور (٤٠٩/١٠)، وانظر: فتح القدير (٤٣٤/٣)، روح المعاني (١٠٩/١٧)، التحرير والتنوير (١٨٠/١٧).

دراسة الأثر:

سورة الحجّ مكيّة أم مدنيّة، وعلى القول بمكيّتها أو مدنيّتها هل كلّها كذلك أم فيها استثناء اختَلفَ فيه المفسرون على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، واختارَه النسفيّ وابنُ كثير.

القول الثاني: أنّها مدنيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس – رضي الله عنهما –، ومجاهد والضحّاك.

القول الثالث: أنّها مدنيّة غير أربع آيات، فهي مكيّة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٖ﴾ (الحج: ٥٢- ٥٥)، رُوِي عن ابن عباس ﷺ، والضحّاك وقتادة والحسن.

ولعلّ السببَ في القول بمكيّة هذه الآيات ما رُوِي في نزولها من قصّة الغَرانيق أنّ النبيّ ﷺ قرَأَ سورة النّجم، وعندما وصَلَ إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ (النجم: ١٩- ٢٠) ألقَى الشيطانُ على لسانِه (أُولئِك الغَرانيقُ العُلا، وأنَّ شَفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى) فشَقَّ ذلك عليه، فنَزَلتِ الآيات.

أخرَجَه الطبريّ في تفسيره (٦٦٦/١٨) بسنده عن سعيد بن جبير مرسلاً، وذكرَه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٤٠/٦) رقم (١٣٣٥٤) عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً.

وسورة النجم مكيّة، فدلَّ على أنّ هذه الآيات أيضاً مكيّة.

والصّوابُ – والله أعلم –: أنّ هذه الآيات مكيّة، كما يظهَر من مضمونها؛ ففيها تسليةٌ للرسول ﷺ، وهي من سماتِ القرآن المكّي.

قال ابنُ كثير: "وقوله: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾: هذا فيه تسليةٌ له صلوات الله وسلامه عليه، أي: لا يَهيدَنَّك ذلك، فقد أصابَ مثلُ هذا منْ قبلَك من المرسلين والأنبياء". اهـ.

تفسير ابن كثير (٤٤٥/٥)

غيرَ أنّ ما رُوِي فيها من قصّة الغرانيقَ رَدَّه غيرُ واحدٍ من المفسّرين.

قال ابنُ كثير: "قد ذكَرَ كثيرٌ من المفسّرين هاهنا قصّة الغَرانيق ...، ولكنّها من طُرُق كلّها مُرسَلَة، ولم أرَها مُسنَدةً من وجهٍ صحيحٍ، واللهُ أعلَم". اهـ.

تفسير ابن كثير (٤٤١/٥)

قال الشنقيطيّ: "اعْلَمْ أنّ مسألةَ الغَرانيق مع استحالتِها شرعاً، ودلالةِ القرآن على بطلانها لم تثبُتْ من طريقٍ صالحٍ للاحتجاج، وصرَّح بعدم ثُبوتها خلقٌ كثيرٌ من علماء الحديث، كما هو الصَّواب". اهـ.
أضواء البيان (٥/٢٨٦)

القول الرابع: أنّها مكيّة إلاّ آيتَينِ، فهما مدنيّتان، وهما قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ (الحج: ١١- ١٢)، ولم يُعزَ هذا القولُ لقائل.

وأخرَجَ البخاريّ بسنده عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ قال: كان الرجلُ يَقدَمُ المدينةَ، فإن ولدَتْ امرأتُه غُلاماً، ونُتِجَتْ خَيلُه قال: هذا دينٌ صالحٌ، وإن لم تلِدْ امرأتُه، ولم تُنتَجْ خيلُه قال: هذَا دينُ سُوءٍ.

صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾/ رقم (٤٤٦٥).

وهذا يُقوّي القولَ بمدنيّة الآية؛ لما فيه من إشارة إلى نزولها بالمدينة.

قال ابنُ عاشور: "والظَّاهر أنّ هذه الآية نزَلَتْ بالمدينة". اهـ.
التحرير والتنوير (١٧/٢١١)

القول الخامس: أنّها مكيّة غير ستّ آيات نزلتْ بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (الحج: ١٩- ٢٤)، رُوِي عن ابن عباس ﷺ.

القول السادس: أنّها مكيّة سوى ثلاث آيات نزلتْ بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴾ (الحج: ١٩- ٢١)، رُوِي عن مجاهد وعطاء بن يسار، وهو قولُ ابن عباس ﷺ في أظهَر ما رُوِي عنه، وعنه ﷺ قال: هي أربع آيات إلى قوله تعالى: ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ (الحج: ٢٢).

ويُقوّي مدنيّة هذه الآيات ما أخرَجَه الشيخانِ بسنَدَيْهما عن أبي ذرّ ﷺ أنّه كان يُقْسِم فيها: إنّ هذه الآية ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ نزلتْ في حمزة وصاحبَيْه، وعتبة وصاحبَيْه يوم برَزُوا في يوم بدْرٍ.

صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: قوله: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾/ رقم (٤٤٦٦)، صحيح مسلم/ كتاب: التفسير/ باب: في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾/ رقم (٣٠٣٣)، واللفظ للبخاري.

ورجَّحَ به بعضُ المفسّرين القولَ بمدنيّة هذه الآيات.

قال ابنُ جزي: "فالآية على هذا مدنيّة إلى تمام ستِّ آيات". اهـ.
التسهيل لابن جزي (٣/٣٨)

قال ابنُ عاشور: "وعليه فهذه الآية مدنيّة". اهـ.
التحرير والتنوير (١٧/٢٢٩)

القول السابع: أنها مكيّة إلاّ تسع آيات، فإنّها نزلتْ بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ

رَبَّكُمْ ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج: ١- ٢)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الآية (الحج: ٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ الآية (الحج: ٥٤)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُواْ أَوْ مَاتُواْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (الحج: ٥٨- ٥٩)، وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٣٩-٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الآية (الحج: ١١)، رُوِي عن مُقاتل والنقَّاش.

أمّا الآيتان من أوّل السورة فالسببَ في استثنائهما ما رُوِي أنّهما نزلَتا في سفرٍ من أسفار النبيّ ﷺ، وكانتْ أسفاره في الغزوات ونحوها بعد الهجْرة، فدلَّ على مدنيّتهما.

أخرَجَ الترمذيّ من حديث عمران بن حُصَين ﷺ قال: أنّ النبيّ ﷺ لما نزَلتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ - أُنزلتْ عليه هذه الآية وهو في سفر - فقال: "أتَدْرُونَ أيّ يوم ذلك؟ ..." الحديث.

سنن الترمذي/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: ومن سورة الحج/ رقم (٣١٦٨)، وقال الترمذي: "حسن صحيح". اهـ.

وقال الألبانيّ: "ضعيف الإسناد". اهـ.

ضعيف سنن الترمذي ص (٣٣٧) رقم (٣١٦٨)

وأخرَجَه الحميديّ في المسند (٣٦٧/٢) رقم (٨٣١)، أحمد في المسند (٤٣٢/٤) رقم (١٩٨٩٧)، عبد بن حميد في المسند ص (٣٥٨) رقم (١١٨٧) من حديث أنس ﷺ، الطبراني في المعجم الكبير (١٥٥/١٨) رقم (٣٤٠)، الحاكم في المستدرك (٦١٠/٤) رقم (٨٦٩٢) من حديث أنس ﷺ، وصحَّحَه، ووافقَه الذهبيّ.

قال ابنُ عاشور معلّقاً على هذا الحديث: "فالظاهر من قوله: (أُنزِلتْ وهو في سفَر) أنّ عمران بن حُصَين لم يسمَعْ الآية إلاّ يومئِذٍ، فظَنَّها أُنزِلَتْ يومئِذٍ؛ فإنّ عمران بن حُصَين ما أسلَمَ إلاّ عام خَيبَر، وهو عام سبعة، أو أنّ أحدَ رُواة الحديث أدْرَجَ كلمةَ (أُنزِلَتْ عليه وهو في سَفَر) في كلام عِمران بن حُصَين، ولم يقُلْه عمران". اهـ.

التحرير والتنوير (١٨٢/١٧)

ويُقوّي عدمَ نزولها في ذلك السفر ما أخرَجَه الترمذيّ من طريق آخر عن عمران بن حُصَين ﷺ قال: كنّا مع النبيّ ﷺ في سفَرٍ، فتَفاوَتَ بين أصحابه في السَّير، فرَفعَ رسولُ الله ﷺ صوتَه بهاتَينِ الآيتَينِ ... الحديث.

سنن الترمذي/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: ومن سورة الحج/ رقم (٣١٦٩)، وقال الترمذي: "حسن صحيح". اهـ.

وقال الألبانيّ: "صحيح". اهـ.

صحيح سنن الترمذي (٢٨٥/٣) رقم (٣١٦٩)

وأخرجَه أحمد في المسند (٤٣٥/٤) رقم (١٩٩١٥)، هنّاد في الزُّهد (١٤٨/١) رقم (١٩٧)، النسائيّ في السنن الكبرى (٤١٠/٦) رقم (١١٣٤٠)، الروياني في المسند (٩٩/١) رقم (٦٩)، الطبريّ في تفسيره (٥٥٩/١٨)، الطبرانيّ في المعجم الكبير (١٤٤/١٨) رقم (٣٠٦)، الحاكم في المستدرك (٨١/١) رقم (٧٨)، وصحَّحَه، ووافقه الذهبيّ.

كما يُقوّي عدمَ نزول الآيتَينِ في تلك القصّة أنّ الحديث أخرَجَه الشيخانِ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ،

وليسَ عندهما ما يدلُّ على ذلك، وإنّما يظهَر منه أنّ النبيّ ﷺ قرَأَ الآيتَينِ في تلك القصّة.

انظر: صحيح البخاري/ كتاب: الرقاق/ باب: قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾/ رقم (٦١٦٥)، صحيح مسلم/ كتاب: الإيمان/ باب: قوله: يقول الله لآدم: أَخْرِجْ بَعْثَ النار/ رقم (٢٢٢).

والخطابُ بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يُقوّي مكيّتهما؛ لأنّه في الغالب من خصائص الآيات المكيّة.

قال ابنُ عاشور: "ويُشبِه أن يكونَ أوّلهُا نزَلَ بمكّة؛ فإنّ افتتاحها بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ جارٍ على سُنَن فواتح السُّوَر المكيّة". اهـ.
التحرير والتنوير (١٨٠/١٧)

وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية فموضوعُ الآية يُقوّي القولَ بمدنيّتها؛ وذلك أنّ الصدّ المعروف عن المسجد الحرام إنّما وقَعَ بعد الهِجْرة في صُلح الحُدَيبِيَة.

قال القرطبيّ: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ﴾: أعادَ الكلامَ إلى مُشركي العرَب حينَ صدُّوا رسولَ الله ﷺ عن المسجد الحرام عامَ الحُدَيبِيَة؛ وذلك أنّه لم يُعلَمْ لهم صدٌّ قبل ذلك الجَمْع إلاّ أن يُريد صدَّهم لأفرادٍ من الناس؛ فقد وقعَ ذلك في صدْر المبْعَث". اهـ.
تفسير القرطبي (٣١/١٢)

قال ابنُ كثير: "يقول تعالى مُنكِراً على الكفّار في صَدِّهم المؤمنينَ عن إتيان المسجد الحرام، وقضاء مناسِكِهم فيه، ودعـــواهم أنّهـــم أوليـــاؤه: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٣٤)، وفي هذه الآية دليلٌ على أنّها مدنيّة". اهـ.
تفسير ابن كثير (٤٠٩/٥)

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ الآية فالسببُ في القول بمدنيّتها أنّ المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أهلُ التوراة.

ولم أقِفْ على ما يدلُّ على هذا التخصيص، والصّوابُ – والله أعلَم –: أنّ المراد بهم المؤمنونَ؛ لدلالة السّياق عليه.

قال ابنُ عاشور: "و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: هم المؤمنون بقرينة مقابلته بـ (الذين في قلوبهم مرَضٌ)، وبقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾". اهـ.
التحرير والتنوير (٣٠٢/١٧)

وممّا يُقوّيه أيضاً أنّ المراد بالعلم في الآية: التوحيد والقرآن دونَ التوارة، كما هو قولُ غير واحدٍ من المفسّرين.

قال البغوي: "﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: التوحيد والقرآن". اهـ.
تفسير البغوي (٣٩٥/٥)

وبه قال الواحديّ وابنُ الجوزي والخازن وغيرُهم.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾ الآية والذي يليه فالظاهر أنّ الآيتَينِ مدنيّتان؛ لقوله تعالى: ﴿هَاجَرُوا۟﴾، والهجْرة في المشهور: ما كانتْ من مكّة إلى المدينة.

قال ابنُ الجوزي: "﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي: من مكّة إلى المدينة". اهـ.
زاد المسير (٤٤٥/٥)

وقولُه تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ الآية أيضاً مدنيّ؛ لإنّ الإذْن بالقِتال لم يكُنْ إلاّ بالمدينة.
قال ابنُ عاشور: "وهذه الآية لا مَحالَةَ نزَلَتْ بالمدينَة". اهـ.
التحرير والتنوير (٢٧٥/١٧)

ويؤيِّد مدنيّة هذه الآية ما أخرَجَه النسائيّ بسنده عن ابن عباس ﷺ قال: لما أُخرِجَ النبيّ ﷺ من مكّة قال أبو بكر: أخرَجُوا نبيَّهم، إنّا لله وإنّا إليه راجِعُون، ليَهْلِكُنّ، فنزلتْ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.
المجتبى/كتاب: الجهاد/ باب: وجوب الجهاد/ رقم (٣٠٨٥)، وقال الألبانيّ: "صحيح الإسناد". اهـ.
صحيح سنن النسائي (٣٦٥/٢) رقم (٣٠٨٥)
وأخرَجَه أحمد في المسند (٢١٦/١) رقم (١٨٦٥)، الترمذيّ في السنن/كتاب: تفسير القرآن/ باب: ومن سورة الحج/ رقم (٣١٧١)، وحسَّنَه، البزّار في المسند (٦٩/١) رقم (١٦)، النسائيّ في السنن الكبرى (٣/٣) رقم (٤٢٩٢)، الطبريّ في تفسيره (٦٤٣/١٨)، الطبرانيّ في المعجم الكبير (١٦/١٢) رقم (١٢٣٣٦)، الحاكم في المستدرك (٧٦/٢) رقم (٢٣٧٦)، وصحَّحَه، ووافقَه الذهبيّ، البيهقيّ في السنن الكبرى (١٠/٩) رقم (١٧٥١٨)، الضياء المقدسيّ في الأحاديث المختارة (٣٥٩/١٠) رقم (٣٨٤).

القول الثامن: أنّها مدنيّة من أوّلها إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الحج: ١- ٣٧)، وسائرها مكيّ، قاله أبو سليمان الدمشقيّ.

القول التاسع: أنّها مُختَلِطَةٌ، منها مكيّ، ومنها مدنيّ.

والرّاجح - والله أعلَم -: أنّها مكيّة، وفيها آياتٌ مدنيّة، كما دلّتْ عليه آيات السورة.

قال ابنُ حجر: "فالذي يظهَر أنّ أصلَها مكيّ، ونزَلَ منها آياتٌ بالمدينة ...، والله أعلَم". اهـ.
فتح الباري (٤٤٠/٨)

وممّا يُقوّي القولَ بمكيّتها الغلبةُ للخطاب في السورة بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وهو من ضوابط السوَر المكيّة في الغالب، وقد جاءَ ذلك في أربعة مواضع، والخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وردَ في موضعٍ واحدٍ فقط.
انظر: تفسير مقاتل (٣٧٤/٢)، معاني القرآن للنحّاس (٣٧٠/٤)، الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٥٦١)، تفسير ابن أبي زمنين (١٦٦/٣)، الكشف والبيان (٥/٧)، البيان في عدّ آي القرآن ص (١٨٩)، تفسير الماوردي (٥/٤)، تفسير السمعاني (٤١٦/٣)، المحرر الوجيز (١٠٥/٤)، زاد المسير (٤٠١/٥)، تفسير الرازي (٣/٢٣)، تفسير القرطبي (١/١٢)، تفسير النسفي (٩٢/٣)، تفسير الخازن (٢/٥)، تفسير البحر المحيط (٣٢٤/٦)، البرهان في علوم القرآن (٢٠٢/١)، بصائر ذوي التمييز (٣٢٣/١)، تفسير النيسابوري (٦١/٥)، تفسير الثعالبي (٦٩/٣)، اللّباب لابن عادل (٣/١٤)، الدر المنثور (٤٠٩/١٠)، الإتقان في علوم القرآن (٤٢/١، ٥٥)، تفسير أبي السعود (٩١/٦)، الناسخ والمنسوخ للكرمي ص (١٤٢)، فتح القدير (٤٣٤/٣)، روح المعاني (١٠٩/١٧)، مناهل العرفان (١٣٨/١)، التحرير والتنوير (١٨٠/١٧).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ الحج/٢٩.

١٢٤- قال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر (١) عن الزُّهري (٢) أنَّ ابنَ الزبير قال: إنَّما سُمِّيَ ﴿ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾؛ لأنَّ اللهَ أعتَقَه مِنَ الجَبابِرَة (٣).

دراسة الإسناد:

(١) مَعْمَر بن راشِد الأَزْدِيّ، ثِقَة، ثَبْت، فاضل، تقدَّم في الأثر (٢٧).

(٢) محمد بن مُسلِم بن عُبَيد الله القُرَشِيّ الزُّهرِيّ، أبو بكر المدَنِيّ، تُوُفي سنة خمس وعشرين ومائة، وقيل: قبلها، روى له الجماعة، الفقيه، الحافِظ، مُتَّفق على جلالتِه وإتقانِه.

انظر: تهذيب الكمال (٤١٩/٢٦) رقم (٥٦٠٦)، الكاشف (٢١٧/٢) رقم (٥١٥٢)، التقريب رقم (٦٢٩٦).

درجة الإسناد:

إسناده صحيح.

(٣) تفسير عبد الرزاق (٣٧/٢)، وأخرَجَه الطبريّ في تفسيره (٦١٤/١٨)، وذكرَه الجصّاص في أحكام القرآن (٧٦/٥)، الثعلبيّ في الكشف والبيان (٢٠/٧)، البغويّ في تفسيره (٣٨٢/٥)، ابن عطيّة في المحرر الوجيز (١١٩/٤)، الرازيّ في تفسيره (٢٧/٢٣)، القرطبيّ في تفسيره (٥٢/١٢)، أبو حيّان في البحر المحيط (٣٣٩/٦)، ابن كثير في تفسيره (٤١٨/٥)، وعزاه لعبد الرزاق، النيسابوريّ في تفسيره (٧٩/٥)، الثعالبيّ في تفسيره (٧٨/٣).

دراسة الأثر:

اختَلفَ المفسّرونَ في تفسير (العتيق)، ووجْه وصْف البَيتِ به على أقوالٍ، وهي:

القول الأول: أنّ المراد به القديم؛ فهو أقْدَمُ مواضع التعبُّد، بناه آدم عليه السلام، ثمّ جدَّدَه إبراهيم عليه السلام، رُوِي عن ابن زيد والحسن ومجاهد.

ويدلُّ على قِدَمه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ (آل عمران: ٩٦).

والعَرَب تُسَمِّي القديمَ عتيقاً وعاتِقاً، يُقال: سيفٌ عتيق، ودينار عتيق، أي: قديم، ومنه قولُ حَسّان رضي الله عنه:

كالمِسْكِ تَخْلِطُه بمَاءِ سَحابَةٍ ... أو عاتِقٍ كدَمِ الذَّبيحِ مُدَامِ

انظر: ديوانه ص (٢١٤)، لسان العرب (عتق) (٢٣٧/١٠)، تاج العروس (عتق) (١٢٠/٢٦).

أراد بالعاتِق: الخمْر القديمة.

قال القرطبيّ: "وهذا قول يَعْضُدُه النظر، وفي الصحيح: أنّه أوّلُ مسجدٍ وُضِع في الأرض". اهـ.

تفسير القرطبي (٥٢/١٢)، وانظر: صحيح البخاري/ كتاب: الأحاديث الأنبياء/ رقم (٣١٨٦)، صحيح مسلم/ كتاب: المساجد/ رقم (٥٢٠).

القول الثاني: أنّه عتيقٌ؛ لأنّ الله عز وجل أعتَقَه من الجبابِرَة، فلم يتَسلَّطْ عليه جبَّارٌ، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد وقتادة وابن أبي نَجيح.

ورُوِي هذا التفسير عن النبيّ ﷺ، فأخرَجَ الترمذيّ من حديث عبد الله بن الزبير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّما سُمِّي البيتَ العتيقَ؛ لأنّه لم يظهَرْ عليه جبّارٌ".

سنن الترمذي/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: ومن سورة الحج/ رقم (٣١٧٠)، وقال الترمذيّ: "حسن صحيح". اهـ.

وقال الألبانيّ: "ضعيف". اهـ.

ضعيف سنن الترمذي ص (٣٣٧) رقم (٣١٧٠)

وأخرجَه البخاريّ في التاريخ الكبير (٢٠١/١) رقم (٦١٩)، البزّار في مسنده (١٧٢/٦) رقم (٢٢١٥)، الطبرانيّ في المعجم الكبير (١٠٨/١٣) رقم (٢٦٢)، الحاكم في المستدرك (٤٢١/٢) رقم (٣٤٦٥)، وصحَّحَه، ووافقَه الذهبيّ، البيهقيّ في شُعَب الإيمان (٤٤٣/٣) رقم (٤٠١٠)، وذكرَه الهيثميّ في مجمع الزوائد (٢٩٦/٣)، وعزاه للبزّار، وقال: "وفيه عبد الله بن صالح كاتبُ اللّيث، قيل: ثقة مأمون، وقد ضعَّفَه الأئمّة أحمد وغيره، وبقيّة رجاله ثِقات". اهـ.

القول الثالث: أنّه عتيقٌ بمعنى: أنّه لم يملِكْه أحدٌ من الناس، رُوِي عن مجاهد وسُفيان بن عُيَينة، شُبِّه ذلك بالعبد العتيق في أنّه لا مِلْكَ لأحدٍ عليه.

القول الرابع: أنّ الله ﷻ أعتَقَه من الغَرَق؛ فإنّه رُفِع أيّام طوفان نوح عليه السلام، رُوِي عن مجاهد وعِكرمة وابن زيد وسعيد بن جُبير وابن السّائب.

قال السُّمعانيّ: "وهذا قولٌ مُعتَمَد، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ (الحج: ٢٦)، فلمّا قال: ﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ دلَّ أنّ البيت رُفِع أيّام الطُّوفان". اهـ.

تفسير السمعاني (٤٣٥/٣)

القول الخامس: أنّه بمعنى: الكريم، فهو بيتٌ كريمٌ على الله ﷻ، من قولهم: (عِتاقُ الخَيل والطير) لكِرامِها، وفرسٌ عتيق، أي: كريم، والعَرَب تُسَمِّي الكَرَم عِتْقاً، ومنه قول كَعْب بن زُهَير:

قَنْواءُ في حُرَّتَيْها للبَصِير بها ... عِتْقٌ مُبينٌ وفي الخَدَّين تَسْهِيلُ

انظر: جمهرة أشعار العرب ص (٢٣٨)، لسان العرب (حرر) (١٨٣/٤)، تاج العروس (حرر) (٥٨٢/١٠).

عِتْق مُبين، أي: كَرَمٌ ظاهِر.

القول السادس: أنّ الله ﷻ يُعتِق فيه رقابَ المُذْنِبينَ من العذاب، ففعيلٌ بمعنى: مُفْعِل، ونسبةُ الإعتاق إليه مجازٌ؛ لأنّه تعالى يُعْتِق رِقابَهم بسبب الطَّواف به.

والصّواب – والله أعلَم –: أنّ كلّ هذه الأقوال يصدُقُ على البيت، غير أنّ القول الأوّل فيه أغلَب وأظهَر؛ لما دلَّ عليه القرآن والسنة، وتعضُدُه اللّغة.

قال الطبريّ مُرجِّحاً لهذا القول: "ولكلّ هذه الأقوال التي ذكرناها عمّن ذكرناها عنه في قوله: (البَيْتِ العَتِيق) وجهٌ صحيحٌ غير أنّ الذي قالَه ابنُ زيد أغلَبُ معانيه عليه في الظاهر". اهـ.

تفسير الطبري (٦١٥/١٨)

قال القرطبيّ: "والقول الأول أصحُّ؛ للنظر، والحديث الصحيح". اهـ.

تفسير القرطبي (٥٣/١٢)

قال الشنقيطيّ بعد أن أورَدَ الأقوال: "وإذا علِمْتَ ذلك فاعْلَمْ أنّه قد دلَّتْ آيةٌ من كتاب الله على أنّ العَتيقَ في الآية بمعنى القديم الأوّل، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ (آل عمران: ٩٦) مع أنّ المعنَيَينِ الآخَرينِ كلاهما حقٌّ، ولكنّ القرآن دلَّ على ما ذكرْنا، وخيرُ ما يُفَسَّر به القرآنُ القرآنُ". اهـ.
أضواء البيان (٥/٢٥٤)

انظر: تفسير عبد الرزاق (٢/٣٧)، تفسير الطبري (١٨/٦١٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/٢٤٩٠)، الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/١٧٨)، تهذيب اللغة (عتق) (١/١٤٢)، تفسير السمرقندي (٢/٤٥٧)، مقاييس اللغة (عتق) (٤/٢٢٠)، الكشف والبيان (٧/٢٠)، تفسير الماوردي (٤/٢١)، تفسير السمعاني (٣/٤٣٥)، المفردات في غريب القرآن (عتق) ص (٣٢١)، تفسير البغوي (٥/٣٨٢)، الكشّاف (٣/١٥٤)، المحرر الوجيز (٤/١١٩)، زاد المسير (٥/٤٢٧)، تفسير الرازي (٢٣/٢٧)، تفسير القرطبي (١٢/٥٢)، تفسير البيضاوي (٤/١٢٤)، تفسير النسفي (٣/١٠٠)، تفسير الخازن (٥/١٥)، التسهيل لابن جزي (٣/٤٠)، تفسير البحر المحيط (٦/٣٣٩)، تفسير ابن كثير (٥/٤١٨)، لسان العرب (عتق) (١٠/٢٣٦)، تفسير النيسابوري (٥/٧٩)، تفسير الثعالبي (٣/٧٨)، تاج العروس (عتق) (٢٦/١١٦)، فتح القدير (٣/٤٤٩)، روح المعاني (١٧/١٤٦)، أضواء البيان (٥/٢٥٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ الحج/٥١.

١٢٥- قال الحربيّ (١): حدثنا ابنُ الأَصْبَهانيّ (٢) عن عليّ بن مُسْهِر (٣) عن هِشَام بن عُروَة (٤) عن وَهْب بن كَيْسَان (٥): سمِعْتُ ابنَ الزبير قرَأَ (مُعَجِّزِينَ) قال: مُثَبِّطِينَ (٦) (٧).

---

(١) إبراهيم بن إسحاق بن بَشِير البَغداديّ، أبو إسحاق الحَربيّ، الحافِظ، أحدُ الأئِمّة الأعلام ببغداد، وكان يُشبِه بأحمد بن حنبل في وقته، صنَّفَ التصانيفَ الكثيرة، منها: غريب الحديث، ودلائل النبوّة، والمناسك، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين.
انظر: طبقات الحنابلة (٨٦/١) رقم (٨٦)، تاريخ بغداد (٢٧/٦) رقم (٣٠٥٩).

دراسة الإسناد:

(٢) محمد بن سَعِيد بن سُلَيمان الكوفيّ، ابن الأصبهاني، ثِقَة، ثَبْت، تقدّم في الأثر (٤٠).

(٣) عَليّ بن مُسْهِر القُرَشيّ، أبو الحَسَن الكوفيّ، توفي سنة تسع وثمانين ومائة، روى له الجماعة، وثَّقه النسائيّ والذهبيّ وابن حجر.
انظر: تهذيب الكمال (١٣٥/٢١) رقم (٤١٣٧)، الكاشف (٤٧/٢) رقم (٣٩٦٧)، التقريب رقم (٤٨٠٠).

(٤) هِشَام بن عُروَة بن الزبير القُرَشِيّ، ثقة، فقيه، رُبَّما دلّس، تقدّم في الأثر (٢).

(٥) وَهْب بن كَيْسَان القُرَشِيّ، ثقة، تقدَّم في الأثر (٨٢).

درجة الإسناد:

إسناده صحيح.

(٦) التَّثْبيط: هو التَّعويق والشُّغْل عن المراد، ثَبَّطَه عن الشَّيء تَثْبِيطاً: إذا شغَلَه عنه.
انظر: تهذيب اللغة (ثبط) (٢١٦/١٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر (ثبط) (٢٠٧/١).

(٧) غريب الحديث (عجز) (١٠٨٤/٣)، وذكرَه الفرّاء في معاني القرآن (٢٢٩/٢)، ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٠٠/٦) رقم (١٣٩٩٢)، وفيه: (أنّه كان يَقرَأُ ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾)، والظاهر أنّه تصحيف، والصّواب: (مُعَجِّزِيْنَ)، وذكرَه النحّاس في معاني القرآن (٤٢٤/٤)، القرطبيّ في تفسيره (٧٨/١٢)، ابن كثير في تفسيره (٤٤١/٥)، السيوطيّ في الدر المنثور (٥٢٣/١٠)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

١٢٦- قال أبو حيان: وقرَأَ ابنُ الزبير (مُعْجِزِين) بسكُون العَين، وتخفيف الزَّاي [١].

(١) تفسير البحر المحيط (٣٥١/٦)، وانظر: شواذّ القراءات للكرماني ص (٣٣٠)، الدر المصون (٢٩١/٨)، اللّباب لابن عادل (١١٥/١٤)، روح المعاني (١٧٢/١٧).

دراسة الأثرين (١٢٥- ١٢٦):

قُرِئَ قوله تعالى: ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ بعدَّة أوجُهٍ، وهي:

١- (مُعاجِزِينَ) بألفٍ بين العين والجيم، على صيغة اسم فاعل من (عاجَزَه)، رُوِي عن ابن عباس ﷺ في كلّ القرآن، وهو قراءةُ الجمهور، بمعنى: مُشَاقِّينَ، ومُراغِمينَ، ومُغالِبينَ، رُوِي عن ابن عباس ﷺ، وقيل: مُعانِدينَ، قالَه الفرّاء، وقيل: مُسابِقينَ، قالَه أبو عبيدة، وقيل: ظَانّينَ ومُقدِّرينَ أنّهم يُعْجِزونَنَا ويَفُوتُونَنَا، فلا نقدِرُ عليهم بزعْمِهم أن لا بعْثَ ولا نشورَ، ولا جنَّةَ ولا نارَ، رُوِي عن قتادة والزجَّاج، واختارَه النّحاس.

٢- (مُعَجِّزِينَ) بتشديد الجيم بغير الألف، على صيغة اسم الفاعل من (عَجَّزَه)، رُوِي عن ابن الزبير ﷺ، وعُروة ومجاهد، وهو قراءةُ ابن كثير وأبي عمرو والجَحْدَريّ وأبي السِّمَال والزَّعفَراني، بمعنى: مُثبِّطِين الناسَ عن اتباع النبيّ ﷺ، والإيمان بالقرآن، رُوِي عن ابن الزبير ﷺ، ومجاهد والسدّي والفرَّاء والكسائي، وقيل: نَاسِبينَ أصحابَ رسول الله ﷺإلى العجْز، كما تقول: فَسَّقتُ فُلاناً: إذا نسَبْتَه إلى الفِسْق، أي: يحسَبون المسلمين سُفَهاءَ في اتّباعِهم دينَ الإسلام، قالَه أبو عليّ الفارسيّ، وقيل: ظانِّين أنّهم يُعْجِزُون ربَّهم، فلا يقدِرُ على بعْثِهم وعقابِهم.

٣- (مُعْجِزِينَ) بسكون العَين مُخَفَّفاً من (أعجَزَ)، رُوِي عن ابن الزبير ﷺ، بمعنى: الفَوْت والسَّبْق، يُقال: أعجَزَني فُلانٌ، أي: فَاتَنِي، وعجَزتُ عن طَلَبه وإدراكِه، وقيل: أي: مُثبِّطِينَ، رُوِي عن ابن الزبير ﷺ.

والاختيار: الوجه الأول والثاني؛ فهما قِراءتان سَبعيَّتان مُتواتِرتَان، وما عداهما شاذٌّ، لم يُقرَأْ به في العَشر.

قال الطبريّ: "والصَّواب من القول في ذلك أن يُقال: إنّهما قِراءتان مشهورتَان قد قرأ بكلٍّ واحدةٍ منهما عُلماء من القُرَّاء، مُتَقَارِبَتَا المعنى ...، فبأيّ القراءتَينِ قرَأَ القارئُ فمُصيبٌ الصّوابَ في ذلك". اهـ.

تفسير الطبري (٦٦٢/١٨)

كما أنّ ما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ في معنى (مُعَجِّزِينَ) قال: (مُثَبِّطينَ) هو الرّاجِح، والله أعلَم.

قال الشنقيطيّ: "وأمّا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو (مُعَجِّزِينَ) بكسْر الجيم المشدَّدة بلا ألف فالأظْهَر أنّ المعنى: مُعَجِّزِينَ، أي: مُثبِّطين من أرادَ الدخولَ في الإيمان عن الدخول فيه". اهـ.

أضواء البيان (٢٨٣/٥)

انظر: معاني القرآن للفرّاء (٢٢٩/٢)، مجاز القرآن لأبي عُبيدة (١٤٢/٢)، تفسير الطبري (٦٦١/١٨)، السبعة في القراءات ص (٤٣٩)، معاني القرآن للنحّاس (٤٢٤/٤)، تهذيب اللغة (عجز) (٢١٩/١)، تفسير السمرقندي (٤٦٤/٢)، حُجّة القراءات ص (٤٨٠)، الكشف والبيان (٢٩/٧)، التيسير في القراءات السبع ص (١٥٨)، تفسير الماوردي (٣٣/٤)، تفسير السمعاني (٤٤٦/٣)، تفسير البغوي (٣٩٢/٥)، المحرر الوجيز (١٢٨/٤)، زاد المسير (٤٤٠/٥)، تفسير القرطبي (٧٨/١٢)، تفسير البحر المحيط (٣٥١/٦)، الدر المصون (٢٩١/٨)، تفسير ابن كثير (٤٤١/٥)، لسان العرب (عجز) (٣٦٩/٥)، النشر في القراءات العشر (٣٢٧/٢)، الدر المنثور (٥٢٣/١٠)، فتح القدير (٤٦٠/٣)، روح المعاني (١٧٢/١٧)، أضواء البيان (٢٨٢/٥).

○○○○○

سورة النّور

١٢٧- قال السيوطيّ: أخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن عباس قال: نزلتْ سورةُ النّور بالمدينة، وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن الزبير مثلَه (١).

(١) الدر المنثور (٦٣٢/١٠)، وانظر: عمدة القاري (٧١/١٩)، فتح القدير (٣/٤)، روح المعاني (٧٤/١٨).

دراسة الأثر:

سورة النّور مدنيّة كلّها، ولا خِلافَ فيه بين المفسّرين إلاّ ما وقعَ في تفسير القرطبيّ عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ الآية (النور: ٥٨) من عبارة: (وهي مكيّة).

قال ابنُ عاشور: "ولعلّ تحريفاً طرَأ على النُّسَخ من تفسير القرطبيّ، وأنّ صوابَ الكلمة (وهي مُحكَمَة)، أي: غيرُ منسوخٍ حُكمُها". اهـ.

التحرير والتنوير (١٣٩/١٨)

وأيَّدَ ابنُ عاشور هذا الاحتمالَ بما يلي:

أ- قول ابن عطيّة عند هذه الآية: "وهذه الآية محكَمَة، قال ابن عباس: تَرَكَها الناس". اهـ.

المحرر الوجيز (١٩٣/٤)

ب- ما ذكرَه القرطبيّ من أنّها نزلتْ في غلامٍ من الأنصار قبلَ عبارة: (وهي مكيّة)، وهذا يتعارَضُ مع قوله: (وهي مكيّة).

جـ- قول القرطبي في أوّل السورة: "مدنيّة بالإجماع". اهـ.

تفسير القرطبي (١٥٨/١٢)

والصّواب - والله أعلم -: أنّها مدنيّة كلّها، كما رُوِيَ عن ابن الزبير ﷺ، ولا خلافَ في ذلك بين أهل العلم.

قال ابنُ الجوزي: "وهي مدنيّة كلّها بإجماعهم". اهـ.

زاد المسير (٣/٦)

قال ابنُ عاشور: "وهي مدنيّة باتفاق أهل العلم، ولا يُعرَف مخالفٌ في ذلك". اهـ.

التحرير والتنوير (١٣٩/١٨)

انظر: الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٥٨١)، تفسير ابن أبي زمنين (٢١٧/٣)، تفسير الرازي (١١٣/٢٣)، تفسير البحر المحيط (٣٩٢/٦)، بصائر ذوي التمييز (٣٣٤/١)، الدر المنثور (٦٣٢/١٠)، الناسخ والمنسوخ للكرمي ص (١٤٩)، فتح القدير (٣/٤)، روح المعاني (٧٤/١٨)، التحرير والتنوير (١٣٩/١٨).

○○○○○

سورة الفرقان

١٢٨- قال السيوطيّ: وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن الزبير قالَ: نزَلتْ بمكّة سورةُ الفرقان.(١)

(١) الدر المنثور (١٣٣/١١)، وانظر: فتح القدير (٥٩/٤).

دراسة الأثر:

سورة الفرقان مكيّة أم مدنيّة، وعلى القول بمكيّتها أو مدنيّتها هل كلّها كذلك أم فيها استثناء اختَلفَ فيه المفسّرون على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس – رضي الله عنهما –، والحسن ومجاهد وعكرمة، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مكيّة إلاّ ثلاث آيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (الفرقان: ٦٨- ٧٠)، رُوِي عن ابن عباس ﷺ، وقتادة.

والسببُ في استثناء هذه الآيات ما رُوِي عن ابن عباس ﷺ قال: بعَثَ رسول الله ﷺ إلى وحْشيّ قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسَلَ إليه: يا محمّدُ، كيفَ تدعُوني إلى دينِك وأنتَ تزعُمُ أنّ من قتَلَ أو أشْرَكَ أو زَنا يلْقَ أثاماً، وأنا قد صنَعْتُ ذلك؟ فهل تجِدُ لي من رُخْصَةٍ؟ فأنزَلَ الله ﷻ ... الحديث.

أخرجَه الطبرانيّ في المعجم الكبير (١٩٧/١١) رقم (١١٤٨٠)، وذكرَه الهيثميّ في مجمع الزوائد (٢١٤/١٠)، وعزاه للطبراني، وقال: "وفيه أَبْيَنُ بن سُفيان، وهو ضعيف". اهـ.

والصّواب – والله أعلم –: أنّ هذه الآيات مكيّة كبقيّة آيات السورة، وهو الذي صَحَّ عن ابن عباس ﷺ؛ فقد جاءَ في صحيح البخاري عن القاسِم بن أبي بَزَّة أنّه سألَ سعيدَ بن جُبَير: هل لمن قَتلَ مُؤمناً مُتَعَمّداً من توبَةٍ؟ قال: فقرَأتُ عليه ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ فقال سعيد: قرَأتُها على ابن عباس كما قرأتها عَلَيَّ، فقال: هذه مكيّة، نسخَتْها آيةٌ مدنيّة التي في سورة النساء.

صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾/ رقم (٤٤٨٤).

ويعني بالآية المدنية التي في سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ (النساء: ٩٣).

القول الثالث: أنّها مدنيّة إلاّ الآيات الثلاث من أولها إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا نُشُورٗا﴾ (الفرقان: ١- ٣)، فهو مكيّ، قاله الضحّاك.

لم أقِفْ على مستَنَدٍ لهذا القول، والذي يظهَر من آيات السورة وأساليبها أنّها مكيّة.

قال ابنُ عاشور: "وأسلوبُ السورة وأغراضُها شاهدةٌ بأنّها مكيّة". اهـ.

التحرير والتنوير (٣١٤/١٨)

والرّاجح – والله أعلم –: أنّها مكيّة كلّها، كما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قولُ جمهور المفسّرين، وما عدا هذا القول – كما سبقَ – ضعيف.

قال ابنُ أبي زمنين: "وهي مكيّة كلّها". اهـ.

تفسير ابن أبي زمنين (٢٥٢/٣)

انظر: معاني القرآن للنحّاس (٧/٥)، الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٦٠٣)، تفسير السمعاني (٥/٤)، الكشّاف (٢٦٧/٣)، المحرر الوجيز (١٩٩/٤)، زاد المسير (٧١/٦)، تفسير البحر المحيط (٤٣٩/٦)، الدر المنثور (١٣٣/١١)، الإتقان في علوم القرآن (٤٣/١)، تفسير أبي السعود (٢٠٠/٦)، الناسخ والمنسوخ للكرمي ص (١٥٩)، فتح القدير (٥٩/٤)، روح المعاني (٢٣٠/١٨)، التحرير والتنوير (٣١٣/١٨).

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان/١.

١٢٩- قال النحّاس: وقَرَأَ عبدُ الله بن الزبير (على عِبَادِه) (١).

(١) معاني القرآن (٧/٥)، وانظر: القراءات الشاذّة ص (١٠٣)، المحتسب لابن جنّي (١١٦/٢)، تفسير الماوردي (١٣١/٤)، تفسير السمعاني (٥/٤)، الكشّاف (٢٦٧/٣)، المحرر الوجيز (١٩٩/٤)، شواذّ القراءات للكرماني ص (٣٤٦)، تفسير الرازي (٤٠/٢٤)، تفسير القرطبي (٢/١٣)، تفسير البحر المحيط (٤٤٠/٦)، روح المعاني (٢٣١/١٨).

دراسة الأثر:

قرئ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ بوجهَينِ، وهما:

١- (عَبْدِه) بالإفراد، وهو قراءةُ الجمهور، والمراد به الرسول ﷺ.

٢- (عِبَادِه) بالجمْع، وهو قراءةُ ابن الزبير ﷺ، والمراد به الرسول ﷺ وأمّته، أو المراد به الرسول ﷺ، وعُبِّر عنه بالجمْع تعظيماً.

قال ابن جنّي: "وجهُ ذلك أنّه وإن كان إنزالُه على رسول الله ﷺ فإنّه لما كان عليه السلام مُوصِلاً له إلى العِباد ومُخاطَباً به لهم صارَ كأنّه مُنزَلٌ عليهم". اهـ.

المحتسب (١١٦/٢)

قال الألوسيّ: "والمراد بالعِباد في قراءة ابن الزبير الرسولُ – عليه الصلاة والسلام – وأُمَّتُه، والإنزالُ كما يُضافُ إلى الرسول ﷺ يُضافُ إلى أُمّته، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ (الأنبياء: ١٠)؛ لأنّه واصِلٌ إليهم، ونزوله لأجْلهم، فكأنّه مُنزَلٌ عليهم، وإن كان إنزالُه حقيقةً عليه – عليه الصلاة و السلام –، وقيل : المرادُ بالجمْع هو ﷺ، وعُبِّر عنه به تعظيماً". اهـ.

روح المعاني (٢٣١/١٨)

والاختيار: الوجه الأول؛ فهو قراءةٌ سبعيّة مُتواتِرة، وما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ شاذّ، لم يُقرَأْ به في العشر.

انظر: القراءات الشاذّة ص (١٠٣)، المحتسب لابن جنّي (١١٦/٢)، الكشاف (٢٦٧/٣)، المحرر الوجيز (١٩٩/٤)، تفسير الرازي (٤٠/٢٤)، تفسير القرطبي (٢/١٣)، تفسير البحر المحيط (٤٤٠/٦)، روح المعاني (٢٣١/١٨).

١٣٠- قال أبو حيان: وقرأَ ابنُ الزبير (للعالَمِينَ للجِنِّ والإنس) (١).

(١) تفسير البحر المحيط (٦/٤٤٠)، وانظر: روح المعاني (١٨/٢٣١).

دراسة الأثر:

لم تُنسَبْ هذه القراءة لغير ابن الزبير ﷺ فيما وقفتُ عليه، وهي قراءةٌ شاذّة؛ لمخالَفتِها رسمَ المصحف، وحكمُها عند أهل العلم التفسير.

قال أبو حيّان بعد أن أورَدَ قراءةَ ابن الزبير ﷺ: "وهو تفسيرٌ للعالَمِينَ". اهـ.

تفسير البحر المحيط (٦/٤٤٠)

وقد فسَّرَ به قولَه تعالى: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ غيرُ واحدٍ من المفسّرين.

قال الماورديّ: "والمرادُ بالعالمينَ هنا: الإنس والجنّ؛ لأنّ النبيّ ﷺ قد كان رسولاً إليهما، ونذيراً لهما، وأنّه خاتم الأنبياء". اهـ.

تفسير الماوردي (٤/١٣١)

قال السمعانيّ: "وقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، أي: الجنّ والأنس". اهـ.

تفسير السمعاني (٤/٥)

قال البغويّ: "﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، أي: للجنّ والإنس". اهـ.

تفسير البغوي (٦/٦٩)

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ الفرقان/٧٧.

١٣١- قال الطبريّ: حدثنا محمد بن المُثَنَّى (١) قال: ثنا محمد بن جَعْفَر (٢) قال: ثنا شُعْبَة (٣) قال: أخبرَني مولَى لشَقِيق بن ثَوْر (٤) أنَّه سَمِعَ سَلمَان أبا عبدِ الله (٥) قال: صَلَّيتُ معَ ابنِ الزُّبير، فَسَمِعْتُه يَقْرَأُ (فَقَدْ كَذَّبَ الكافِرُونَ) (٦).

دراسة الإسناد:

(١) محمد بن المُثَنَّى بن عُبَيد العَنَزِيّ، ثقة، ثَبْت، تقدَّم في الأثر (٨٩).

(٢) محمد بن جَعفَر الهُذَلِيّ مولاهم، أبو عبد الله البصريّ، المعروف بغُنْدَر، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقيل: غير ذلك، روى له الجماعة، قال العِجليّ: "ثقة، وكان من أَثْبَتِ الناس في حديث شُعبة"، قال الذهبيّ: "الحافِظ"، قال ابن حجر: "ثقة، صحيح الكتاب إلاّ أنّ فيه غفْلَة".

انظر: معرفة الثقات (٢/٢٣٤) رقم (١٥٨٢)، تهذيب الكمال (٢٥/٥) رقم (٥١٢٠)، الكاشف (٢/١٦٢) رقم (٤٧٧١)، التقريب رقم (٥٧٨٧).

(٣) شُعبة بن الحجَّاج بن الوَرْد العَتْكِيّ، ثقة، حافظ، مُتقِن، تقدَّم في الأثر (٣).

(٤) أَدْهَم بن طَرِيفٍ السَّدُوسِيّ، أبو بِشْر، مولى شَقيق بن ثَور، وثَّقَه أحمد والعِجليّ، وذكرَه ابن حبّان في الثِّقات.

انظر: معرفة الثقات (١/٢١٤) رقم (٥٤)، الجرح والتعديل (٢/٣٤٨) رقم (١٣٢٠)، الثقات لابن حبان (٦/٨٨) رقم (٦٨٤٥).

(٥) سَلمان أبو عبدِ الله، مولى ابن الزبير، رَوَى عن ابن الزبير، روى عنه أَدهَم بن طَرِيف السَّدُوسِيّ، ذكرَه ابن حبّان في الثِّقات.

انظر: التاريخ الكبير (٤/١٣٧) رقم (٢٢٣٩)، الثقات لابن حبان (٤/٣٣٣) رقم (٣١٨٩)، الجرح والتعديل (٤/٢٩٨) رقم (١٢٩٥).

درجة الإسناد:

إسناده صحيح.

(٦) تفسير الطبري (١٩/٣٢٣)، وأخرجَه الدولابيّ في الكُنى والأسماء (٢/٨٢١) رقم (١٤٣٣) من طريق عبد الرحمن ابن مَهدي عن شُعبة به بمثله، ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٤٦) رقم (١٥٥١٠) من طريق أبي قتيبة عن شُعبة به بمثله، وذكرَه النحّاس في إعراب القرآن (٣/١٧٠)، ابن جِنّي في المحتسب (٢/١٢٥)، الثعلبيّ في الكشف والبيان (٧/١٥٤)، ابن عبد البر في التمهيد (٨/٣١٤)، ابن عطيّة في المحرر الوجيز (٤/٢٢٣)، القرطبيّ في تفسيره (١٣/٨٥)، أبو حيّان في البحر المحيط (٦/٤٧٥)، ابن حجر في فتح الباري (٩/٣٦)، الثعالبيّ في تفسيره (٣/١٤٣)، السيوطيّ في الدر المنثور (١١/٢٣٤)، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم، الشوكانيّ في فتح القدير (٤/٩٠)، الألوسيّ في روح المعاني (١٩/٥٤).

دراسة الأثر:

رُويت هذه القراءةُ عن ابن الزبير وابن عباس وابن مسعود ﷺ، وابن أبي عَبْلة، وهي قراءة شاذّة؛ لمخالَفتِها

رسمَ المصحَف، وحكمُها عند أهل العلم التفسير.

قال النحّاس: "وهذه القراءة مخالفةٌ للمصحف، وينبغي أن تُحمَل على التفسير؛ لأنّ معنى ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾: أنّه يُخاطِبُ به الكُفّارَ". اهـ.

إعراب القرآن (١٧٠/٣)

ووجهُ هذه القراءة أنّ قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ خاصٌّ بالكفار بعد أن كان الخطابُ في قوله تعالى: ﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ عامّاً.

قال ابنُ عطيّة: "وقرَأ ابن الزبير وغيرُه (فقد كذَّبَ الكافرون)، وهذا يُؤيِّد أنّ الخطابَ بـ﴿مَا يَعْبَؤُا﴾ هو لجميع الناس، ثمّ يقولُ لقُريش: فأنتُم قد كذَّبْتُم، ولم تعبُدُوه". اهـ.

المحرر الوجيز (٢٢٣/٤)

قال الشوكانيّ في تفسير الآية: "والخطاب لجميع النّاس، ثم خَصَّ الكُفّارَ منهم، فقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، وقرأَ ابنُ الزبير (فقد كذَّبَ الكافرون)، وفي هذه القراءة دليلٌ بيِّنٌ على أنّ الخطابَ لجميع الناس". اهـ.

فتح القدير (٩٠/٤)

قال الألوسيّ: "وقرَأَ عبدُ الله وابنُ عباس وابنُ الزبير (فقد كذَّب الكافرون)، وهو على معنى: (كذَّب الكافرون منكُم)؛ لعموم الخطاب للفَريقَينِ". اهـ.

روح المعاني (٥٤/١٩)

انظر: تفسير الطبري (٣٢٣/١٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٧٤٥/٨)، معاني القرآن للنحّاس (٥٨/٥)، إعراب القرآن للنحّاس (١٧٠/٣)، القراءات الشاذّة ص (١٠٥)، المحتسب لابن جنّي (١٢٥/٢)، الكشف والبيان (١٥٤/٧)، تفسير السمعاني (٣٧/٤)، المحرر الوجيز (٢٢٣/٤)، شواذّ القراءات للكرماني ص (٣٥٢)، تفسير الرازي (١٠٢/٢٤)، تفسير القرطبي (٨٥/١٣)، تفسير البيضاوي (٢٣٠/٤)، تفسير البحر المحيط (٤٧٥/٦)، اللّباب لابن عادل (٥٧٩/١٤)، الدر المنثور (٢٣٤/١١)، تفسير أبي السعود (٢٣٢/٦)، فتح القدير (٩٠/٤)، روح المعاني (٥٤/١٩).

○○○○○

سورة الشّعراء

١٣٢- قال السيوطيّ: وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن عبد الله بن الزبير قال: أُنزِلَتْ سورةُ الشُّعَراء بمكَّة (١).

---

(١) الدر المنثور (٢٣٧/١١)، وانظر: فتح القدير (٩٢/٤)، روح المعاني (٥٨/١٩)، التحرير والتنوير (٨٩/١٩).

دراسة الأثر:

لا خِلافَ بين المفسّرين في مكيّة سورة الشُّعَراء، لكن هل هي مكيّة كلّها أم فيها آياتٌ مدنيّة اختَلفُوا فيه على أقوالٍ، وهي:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس - رضي الله عنهما -، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مكيّة إلاّ أربع آيات من آخر السورة نزَلتْ بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخر السورة (الشعراء: ٢٢٤- ٢٢٧)، رُوِي عن ابن عباس ﷺ، وقتادة وعطاء.

والسببُ في استثناء هذه الآيات ما رُوِي عن أبي الحسن البَرَّاد أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (الشعراء: ٢٢٧) نزَل في حسَّان بن ثابت، وكعْب بن مالك، وعبد الله بن رَواحَة حين جاؤُوا إلى رسول الله بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾، وهم يبكُونَ.

أخرجَه الطبريّ في تفسيره (٤١٨/١٩)، وفي إسناده محمد بن حُمَيد، وهو ضعيف، كما في إسناده إرسال، وأخرجَه ابنُ أبي حاتم في تفسيره (٢٨٣٥/٩) رقم (١٦٠٧٧)، وقال: "قد سقَطَ من الإسناد رجلٌ، إنّما يرويه ابنُ إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط عن أبي حسن البرّاد". اهـ.

والظّاهر من سِياق هذه الآيات أنّها لم تَنزِلْ فيمن تقدَّمَ ذكرهم، بل المراد بها أنّ الله ﷻ كما نفَى عن رسوله ﷺ الكَهانة في الآيات السابقة نفَي عنه ﷺ في هذه الآيات أن يكونَ شاعراً، وأن يكونَ القرآن شعْراً؛ فالشُّعَراء يتَّبِعُهم الغاوُون، وأتباعُ النبيّ ﷺ ليسوا كذلك، وهذا كلُّه يُقوّي القول بمكيّة هذه الآيات.

قال ابنُ كثير في تفسير الآية: "والمرادُ من هذا أنّ الرسول ﷺ الذي أُنزِلَ عليه القرآنُ ليس بكاهنٍ ولا بشاعرٍ؛ لأنّ حالَه مُنافٍ لحالِهم من وُجوهٍ ظاهرةٍ". اهـ.

تفسير ابن كثير (١٧٤/٦)

وقال بعد إيرادِه للرواية السابقة وما في معناها: "ولكن هذه السورة مكيّة، فكيفَ يكونُ سببُ نزول هذه الآية في شُعَراء الأنصار؟ في ذلك نظَرٌ، ولم يتقدَّمْ إلاّ مرسَلاتٌ لا يُعتمَد عليها، والله أعلَمُ". اهـ.

تفسير ابن كثير (١٧٥/٦)

قال الألوسيّ: "وقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ مسوقٌ لتنزيهِه عليه الصلاة والسلام أيضاً عن أن يكونَ - حاشاه - من الشُّعَراء، وإبطال زعْم الكفَرة أنّ القرآن من قَبيل الشِّعْر". اهـ.

روح المعاني (١٤٥/١٩)

قال ابنُ عاشور: "فقوله: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ خبرٌ، وفيه كِناية عن تنزيه النبيّ ﷺ أن يكونَ منهم؛ فإنّ أتباعَه خِيَرَةُ قومهم، وليس فيهم أحدٌ من الغاوين، فقد اشتَملَتْ هذه الجملة على تنزيه النبيّ ﷺ، وتنزيه أصحابه، وعلى ذمِّ الشُّعراء، وذمّ أتباعهم، وتنزيه القرآن عن أن يكونَ شِعْراً ". اهـ.

التحرير والتنوير (٢٠٨/١٩)

وقال مُؤيِّداً لمكيّة هذه الآيات: "وأقولُ: كان شعراءُ بمكّة يهْجُون النبيّ ﷺ، منهم النَّضْر بن الحارث، والعوراء بنْت حَرْب زوجُ أبي لهب، ونحوهما، وهم المراد بآيات ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾، وكان شعراءُ المدينة قد أسلمُوا قبل الهِجْرة، وكان في مكّة شعراءُ مسلمون من الذين هاجَرُوا إلى الحَبَشة". اهـ.

التحرير والتنوير (٨٩/١٩)

القول الثالث: أنّها مكّيّة إلاّ الآية التي يُذكَر فيها الشُّعَراء، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء: ١٩٧)، رُوِي عن مُقاتل.

قال ابنُ عاشور مُبَيِّناً سببَ استثناء مقاتل لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾، ومن ثمّ الردَّ عليه: "وكان الذي دعاه إلى ذلك أنّ مُخالطَة علماء بني إسرائيل كانتْ بعد الهِجرة، ولا يخفَى أنّ الحُجّة لا تَتوقَّف على وقوع مُخالَطَة علماء بني إسرائيل؛ فقد ذَكَر القرآنُ مثلَ هذه الحُجَّة في آيات نزلتْ بمكَّة، من ذلك قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في سورة الرعد (٤٣)، وهي مكيّة، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ في سورة القصص (٥٢)، وهي مكيّة، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ في سورة العنكبوت (٤٧)، وهي مكيّة، وشأنُ علماء بني إسرائيل مشهورٌ بمكّة، وكان لأهل مكّة صِلاتٌ مع اليهود بالمدينة، ومراجَعَة بينهم في شأن بعثة محمَّد ...، ولذا فالذي نُوقِن به أنّ السورة كلّها مكيّة". اهـ.

التحرير والتنوير (٩٠/١٩)

والرّاجح – والله أعلَم –: أنّها مكيّة كلّها، كما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قولُ جمهور المفسّرين، ولأنّ القولَ باستثناء شيءٍ منها – كما سبقَ – ضعيفٌ.

قال ابن أبي زمنين: "وهي مكيّة كلّها". اهـ.

تفسير ابن أبي زمنين (٢٧٠/٣)

انظر: تفسير مقاتل (٤٤٥/٢)، الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٦٠٧)، الكشف والبيان (١٥٥/٧)، البيان في عد آي القرآن ص (١٩٦)، تفسير الماوردي (١٦٣/٤)، تفسير السمعاني (٣٨/٤)، تفسير البغوي (١٠٢/٦)، المحرر الوجيز (٢٢٤/٤)، زاد المسير (١١٤/٦)، تفسير الرازي (١٠٣/٢٤)، تفسير القرطبي (٨٧/١٣)، تفسير الخازن (١١٢/٥)، تفسير البحر المحيط (٥/٧)، الدر المنثور (٢٣٧/١١)، الإتقان في علوم القرآن (٥١/١)، فتح القدير (٩٢/٤)، روح المعاني (٥٨/١٩)، التحرير والتنوير (٨٩/١٩).

○○○○○

سورة النّمل

١٣٣- قال السيوطيّ: أخرَجَ ابنُ الضُّرَيس [١] ... عن ابن عباس قال: أُنزِلتْ سورةُ النَّمل بمكَّة، وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن الزبير مثلَه [٢].

---

(١) محمد بن أيّوب بن يَحيَى بن ضُرَيس البَجَليّ، أبو عبد الله الرّازيّ، الحافِظ، صاحبُ فضائلِ القرآن، توفِّي سنة أربع وتسعين ومائتين.
انظر: تذكرة الحفاظ (٦٤٣/٢) رقم (٦٦٥)، سير أعلام النبلاء (٤٤٩/١٣).

(٢) الدر المنثور (٣٣٣/١١)، وانظر: فتح القدير (١٢٤/٤)، روح المعاني (١٥٤/١٩).

دراسة الأثر:

لا خِلافَ بين المفسّرين في مكيّة سورة النّمل، لكن هل هي مكيّة كلّها أم فيها آيات مدنيّة اختَلفُوا فيه على قولَينِ، وهما:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس- رضي الله عنهما -، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مكيّة إلاّ بعض آياتها، فهي مدنيّة، حكاه الخَفاجيّ.

وليسَ فيه تحديدٌ لتلك الآيات، ولم يُعرَفْ هذا القول عن غير الخَفاجيّ.

قال ابن عاشور: "ولم أقِفْ على هذا لغيرِ الخَفاجِيّ". اهـ.

التحرير والتنوير (٢١٥/١٩)

والرّاجح - والله أعلَم -: أنّها مكيّة كلّها، كما رُوِي عن الزبير ﷺ، فهو قولُ جمهور المفسّرين، ولأنّ القول بمدنيّة بعض الآيات - كما سبقَ - قولٌ شاذّ، لم يُعرفْ عن غير الخَفاجيّ.

قال السمرقنديّ: "سورة النّمل كلّها مكيّة". اهـ.

تفسير السمرقندي (٥٧٢/٢)

انظر: الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٦١١)، الدر المنثور (٣٣٣/١١)، فتح القدير (١٢٤/٤)، روح المعاني (١٥٤/١٩)، التحرير والتنوير (٢١٥/١٩).

○○○○○

سورة القصص

١٣٤- قال السيوطيّ: وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن عبد الله بن الزبير قال: أُنزِلتْ سورةُ القَصَص بمكّة (١).

---

(١) الدر المنثور (٤٢١/١١)، وانظر: فتح القدير (١٥٧/٤).

دراسة الأثر:

لا خِلافَ بين المفسّرين في مكيّة سورة القصص، لكن هل هي مكيّة كلّها أم فيها آياتٌ مدنيّة اختَلفُوا فيه على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِيَ عن ابن الزبير وابن عباس - رضي الله عنهما -، والحسن وعكرمة وعطاء وطاؤوس، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مكيّة إلاّ قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ الآية إلى قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (القصص: ٥٢- ٥٥)، رُوِيَ عن ابن عباس ﷺ، ومُقاتِل.

ولعلَّ السبب في استثناء هذه الآيات ما رُوِي أنّ هذه الآيات نزلَتْ فيمن أسلَمَ من أهل الكتاب.

أخرجَه الطبريّ (٥٩٥/١٩)، ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٨٨/٩) بأسانيد ضعيفة.

ويُقَوِّي نزولَها في مُؤمني أهل الكتاب ما أخرَجَه الشيخانِ من حديث أبي موسى الأشعريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثةٌ يُؤتَون أجْرَهم مرَّتَينِ: رجلٌ من أهل الكتاب آمنَ بنبيِّه، وأدْرَكَ النبيَّ ﷺ، فآمن به، واتّبعَه، وصدَّقَه، فله أجرانِ ..." الحديث.

صحيح البخاري/ كتاب: الجهاد/ باب: فضل من أسلم من أهل الكتابين/ رقم (٢٨٤٩)، صحيح مسلم/ كتاب: الإيمان/ باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ/ رقم (١٥٤)، واللفظ لمسلم.

ولكن لا يلزَم منه كونُها مدنيّة؛ فالآية عامَّةٌ في مدْح قومٍ من أهل الكتاب أسلَمُوا، وكان منهم من يُؤمِنُ بالنبيّ ﷺ والقرآنِ قبل هِجْرته إلى المدينة.

قال ابنُ عاشورٍ: "والمراد بالذين أوتوا الكتاب طائفةٌ معهودة من أهل الكتاب شهِدَ اللهُ لهم بأنّهم يُؤمنُونَ بالقرآن، ويتدبَّرونَه، وهم بعضُ النصارى ممّن كان بمكّة، مثل: وَرَقَة بن نوفَل، وصُهَيب، وبعضُ يهود المدينة، مثل: عبد الله بن سَلاَم، ورِفاعَة بن رِفاعَة القُرظيّ ممّن بلَغَتْه دعوةُ النبيّ ﷺ قبل أن يُهاجِرَ النبيّ إلى المدينة، فلمّا هاجَرَ أظْهَرُوا إسلامَهم". اهـ.

التحرير والتنوير (١٤٣/٢٠)

ثمّ هناك آيات مكيّة تُشبِه قولَه تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ الآية في موضوعها، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الآية (الأنعام: ١١٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية (الإسراء: ١٠٧).

القول الثالث: أنّها مكيّة إلاّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، فإنّها نزلتْ بين مكّة والمدينة في وقت هِجْرة النبيّ ﷺ إلى المدينة، رُوِي عن ابن عباس ﷺ، وقتادة والضحّاك، وقيل: نزلت بالجُحْفَة، قالَه يحيى بن سلاّم.

أخرَجَ ابن أبي حاتم عن الضحّاك قال: لما خرَجَ النبيّ ﷺ من مكَّة، فبَلغَ الجُحْفَة اشْتَاقَ إلى مكَّة، فأنزَلَ الله تبارك وتعالى عليه القرآنَ ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: إلى مكَّة.

تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٢٦/٩) رقم (١٧٢٠٥).

قال ابنُ كثيرٍ بعد أن أورَدَ هذا الأثرَ: "وهذا من كلام الضحّاك يقتَضي أنّ هذه الآية مدنيّة، وإن كان مجموعُ السورة مكّيّاً، والله أعلَمُ". اهـ.

تفسير ابن كثير (٢٦٠/٦)

والرّاجح – والله أعلَم –: أنّها مكيّةٌ إلاّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فهو مدنيّ؛ لقوّة الدليل على استثنائه.

ويؤيِّدُه ما أخرَجَه البخاريّ بسنده عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: إلى مكَّة.

صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية/ رقم (٤٤٩٥).

واختارَ هذا التفسيرَ غيرُ واحدٍ من المفسّرين.

قال ابنُ قتَيبة: "معادُ الرّجُل: بلدُه؛ لأنّه يتصَرَّف في البلاد، ويضرِبُ في الأرض، ثمّ يعودُ إلى بلده، يقال: رُدَّ فلانٌ إلى معادِه، أي: رُدَّ إلى بلَدِه". اهـ.

تأويل مشكل القرآن ص (٤٢٥)

قال النحّاس مُرَجِّحاً لهذا القول: "والقول الأول حسَنٌ كثير، والله أعلَمُ بما أرَادَ، ويكون المعنى: إنّ الذي نَزَّل عليك القرآنَ – وما كُنتَ ترجُو أن يُلقَى إليك – لرَادُّكَ إلى معَادٍ، أي: إلى وطنِك ومعادِك، يعني: مكَّة، ويُقال: رجَعَ فلانٌ إلى معادِه، أي: إلى بيتِه". اهـ.

معاني القرآن (٢٠٧/٥)

قال الرازيّ: "﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، يعني: إلى مكَّة ظاهراً عليهم، وهذا أقرَبُ؛ لأنّ ظاهرَ المعاد أنّه كان فيه، وفارَقَه، وحصلَ العَودُ، وذلك لا يليقُ إلا بمكَّة، وإن كان سائرُ الوجوه محتَمَلاً، لكنّ ذلك أقرَبُ". اهـ.

تفسير الرازي (١٩/٢٥)

انظر: تفسير مقاتل (٤٨٨/٢)، الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٦١١)، تفسير السمرقندي (٥٩٧/٢)، تفسير الماوردي (٢٣٣/٤)، تفسير السمعاني (١٢٠/٤)، تفسير البغوي (١٨٥/٦)، المحرر الوجيز (٢٧٥/٤)، زاد المسير (٢٠٠/٦)، تفسير الرازي (١٩٢/٢٤)، تفسير القرطبي (٢٤٧/١٣)، تفسير الخازن (١٦١/٥)، تفسير البحر المحيط (٩٨/٧)، تفسير النيسابوري (٣٢٦/٥)، تفسير الثعالبي (١٧٠/٣)، الدر المنثور (٤٢١/١١)، الإتقان في علوم القرآن (٥١/١)، فتح القدير (١٥٧/٤)، روح المعاني (٤١/٢٠)، التحرير والتنوير (٦١/٢٠).

قولـه تعـالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾ القصص/٤٨.

١٣٥- قال الطبرانيّ: حدثنا الحُسَين بن إسحاق (١) قال: حدثنا علي بن بَحْر (٢) قال: حدثنا سُوَيد بن عبد العزيز (٣) عن ثابِت بن عَجْلان (٤) عن سُلَيم بن عَامِر (٥) قال: سَمِعْتُ ابنَ الزبير يَقرَأُ هذهِ الآيةَ (قالوا سَاحِرَان تَظاهَرا) (٦).

دراسة الإسناد:

(١) الحُسَين بن إسحاق بن إبراهيم التُّسْتَرِيّ، توفي سنة تسعين ومائتين، قال أبو بكر الخَلاَّل: "شيخٌ جليلٌ سَمِعتُ منه"، قال الذهبيّ: "كان من الحُفَّاظ الرَّحَّالة".

انظر: تاريخ دمشق (٣٩/١٤) رقم (١٥١٥)، سير أعلام النبلاء (٥٧/١٤)، طبقات الحنابلة (١٤٢/١) رقم (١٨٤).

(٢) علي بن بَحْر بن بَرِّي القَطَّان، أبو الحَسَن البَغدادِيّ، توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين، روى له البخاريّ تعليقاً، وأبو داود والترمذيّ، وثَّقَه ابن معين وأبو حاتم وابن حجر.

انظر: الجرح والتعديل (١٧٦/٦) رقم (٩٦٥)، تهذيب الكمال (٣٢٥/٢٠) رقم (٤٠٢٧)، التقريب رقم (٤٦٩١).

(٣) سُوَيدُ بن عبد العزيز بن نُمَير السُّلَمِيّ مولاهم، أبو محمد الدمشقيّ، توفي سنة أربع وتسعين ومائة، روى له الترمذيّ وابن ماجه، قال أحمد: "متروك الحديث"، قال النسائيّ: "ضعيف"، قال ابن حجر: "ضعيف".

انظر: العلل ومعرفة الرجال (٤٧٦/٢) رقم (٣١٢٦)، الضعفاء والمتروكين ص (٥٠) رقم (٢٥٩)، تهذيب الكمال (٢٥٥/١٢) رقم (٢٦٤٤)، التقريب رقم (٢٦٩٢).

(٤) ثابِت بن عَجْلان الأَنصارِيّ السَّلَمِيّ، أبو عبد الله الشَّامِيّ الحِمْصِيّ، روى له البخاريّ وأبو داود والنسائيّ وابن ماجه، قال أبو حاتم: "لا بأسَ به، صالحُ الحديث"، قال الذهبيّ: "صالحُ الحديث"، قال ابن حجر: "صدوق".

انظر: الجرح والتعديل (٤٥٥/٢) رقم (١٨٣٤)، تهذيب الكمال (٣٦٣/٤) رقم (٨٢٣)، الكاشف (٢٨٢/١) رقم (٦٩٠)، التقريب رقم (٨٢٢).

(٥) سُلَيم بن عامِر، أبو عامِر الشَّاميّ، قال أبو زُرعَة: "سُلَيم بن عامِر صالح، أدرَكَ الجَاهليَّة غيرَ أنَّه لم يصْحَبِ النبيَّ ﷺ، وهاجَرَ في عهد أبي بكرٍ ﷺ"، وذكرَه ابن حبَّان في الثِّقات.

انظر: التاريخ الكبير (١٢٦/٤) رقم (٢١٩٤)، الجرح والتعديل (٢١٠/٤) رقم (٩٠٨)، الثقات لابن حبان (٣٣١/٤) رقم (٣١٧٩)، التقريب رقم (٢٥٢٨).

درجة الإسناد:

إسناده ضعيف؛ لضعْف سُوَيد بن عبد العزيز.

قال الهيثميّ في مجمع الزوائد (٨٨/٧): "وفيه سُويد بن عبد العزيز، ضعَّفَه أحمد وجمهور الأئمّة". اهـ.

(٦) المعجم الكبير (١٢٧/١٣) رقم (٣١٧)، وذكرَه السيوطيّ في الدر المنثور (٤٧٦/١١)، وعزاه للطبراني.

دراسة الأثر:

قُرِئَ قوله تعالى: ﴿سِحْرَانِ﴾ بوجهَينِ، وهما:

١- (سِحْرانِ) بكسْر السين، وإسكان الحاء، من غير ألفٍ قبلَها، رُوِي عن ابن مسعود ﷺ، وعكرمة وعطاء الخُراساني، وهو قراءة حمزة والكسائي وعاصم والأعمش وزيد بن عليّ وأبي رَزين وعاصم الجَحْدري.

وحُجّةُ هذه القراءة: قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ﴾ (القصص: ٤٩)، قالوا: فهذا دليلٌ على أنّ الصّواب: سِحْران، أي: كِتابانِ.

٢- (سَاحِرَانِ) بفتح السِّين، وألفٍ بعدها، وكَسْر الحاء، بصيغة اسم الفاعل، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جُبَير ومجاهد وعكرمة والحسن، وهو قراءةُ ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، واختارَه أبو حاتم وأبو عُبَيدة.

وحُجّة هذه القراءة: قوله تعالى: ﴿تَظَاهَرَا﴾، وذلك أنّ معنى التظاهُر بالناس وأفعالهم أشبَهُ منه بالكُتُب.

وأُجيبَ عنه: أنّ الكِتابَينِ لما كان كلُّ واحدٍ منهما يُقَوّي الآخَر جَازَ أن يُقَال: (تَظَاهَرا) على سبيلِ المجاز، كما يُقال: تَظاهَرتِ الأخبارُ.

وكلتا القراءتَينِ صحيحتانِ؛ فهُما سبعيَّتانِ مُتواتِرتانِ، فمن قَرَأَ (سِحْرانِ) عنَى بها التوراةَ والقرآنَ، ومن قَرَأَ (ساحِرانِ) أرادَ بها موسى ونبيَّنا محمّداً – عليهما الصّلاة والسلام –، واختَارَ هذا التوجيهَ غيرُ واحدٍ من المفسّرين.

قال الفرَّاء: "وقوله: ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾: يعنُون التوراةَ والقرآنَ، ويقال: (سَاحِران تَظَاهَرَا): يعنُونَ محمَّداً وموسى صلى الله عليهما وسلَّم". اهـ.

معاني القرآن (٢/٣٠٦)

قال ابنُ خالَويه: "فالحُجّة لمن أثبتَها – أي: الألف – أنّهم كَنَّوا بذلك عن موسى ومحمّد عليهما السلام، والحُجّة لمن طرَحَها أنّه أرادَ كنايتَهم بذلك عن التّوراة والفُرقان". اهـ.

الحجّة في القراءات السبع ص (٢٧٨)

قال ابنُ كثير: "والظاهر على قِراءة (سِحْرَانِ) أنّهم يعنُون التوراةَ والقرآن؛ لأنّه قال بعدَه: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ﴾، وكثيراً ما يَقرِنُ الله بينَ التوراة والقرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: ٩١- ٩٢) ...". اهـ.

تفسير ابن كثير (٦/٢٤٢)

انظر: معاني القرآن للفرّاء (٢/٣٠٦)، تفسير عبد الرزاق (٢/٩٢)، تفسير الطبري (١٩/٥٨٨)، السبعة في القراءات ص (٤٩٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/٢٩٨٥)، معاني القرآن للنحّاس (٥/١٨٣)، الحجة في القراءات السبع ص (٢٧٨)، تفسير السمرقندي (٢/٦١١)، حجة القراءات ص (٥٤٧)، الكشف والبيان (٧/٢٥٣)، تفسير الماوردي (٤/٢٥٦)، تفسير السمعاني (٤/١٤٥)، تفسير البغوي (٦/٢١٢)، الكشّاف (٣/٤٢٤)، زاد المسير (٦/٢٢٧)، تفسير القرطبي (١٣/٢٩٤)، تفسير البحر المحيط (٧/١١٨)، الدر المصون (٨/٦٨٣)، تفسير ابن كثير (٦/٢٤٢)، النشر في القراءات العشر (٢/٣٤١)، الدر المنثور (١١/٤٧٥)، فتح القدير (٤/١٧٧).

○○○○○